لحظة سناب شات

Snapchat Moment

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: لحظة سناب شات

تـأليـــــــف: سارة الجزار القـطـــــع: 14*20

تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح سنـة النشـر: 2025

النـاشـــــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 5650 / 2025

الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 615 - 9

دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

لحظة سناب شات

مجموعة قصصية

سارة الجزار

لحظة سنابشات

Snapchat

سارة الجزار

لا يضحكم الاسم، فالقصة نفسها تميت من الضحك ومن الحزن أيضًا. لقد انضممت إلى مجموعتكم الملهمة هذه لأنني وجدت أنه لا بد أن أشارككم قصتي وأطلعكم على خبايا النفوس حينما تحب وتضحي وتتألم. لقد أصررت على الاشتراك حينما رأيت المنشور على فيسبوك والإعلان الذي يقول: "إذا أردت أن تشارك الآخرين قصة نجاحك، عليك أن تنضم إلى هذه الندوة وتسرد قصتك لتلهم الآخرين".

قصتي قد تبدو خيالية للبعض، وقد تبدو مألوفة للبعض الآخر، ولكنها حقيقية إلى أبعد الحدود، لأنها تعبر عن كل امرأة تغاضت عن عيوب من تحب، ورأت فيه جمالًا لا يُقارن بغيره، لكنها صُدمت في توقعاتها الكبيرة ووقعت في بئر عميق لا قرار له.

تزوجت كأي فتاة بريئة جميلة تبحث عن الحب. مررت بقصة حب كبيرة، وتخيلت أن زواجي بمن أحب أشبه بأفلام الأبيض والأسود؛ زواجًا رومانسيًا حالمًا مليئًا بالوسادات الفرو والرقصات الدافئة والكلمات الحالمة. وأنجبت ابني وابنتي... أطفالًا يتمناهم كل العائلات القانعة الراضية. ولكن زوجي لم يكن قانعًا أو راضيًا بي حينما ازداد وزني وتحول شكلي إلى فتاة بدينة.

لقد لاحظت تغيرًا ملموسًا في سلوكه ومعاملته لي؛ فلم أعد أجد الحنان والإقبال والحب. لم يعد يُقدر أن جسمي قد مر بتغيرات نتيجة الحمل والولادة... لم يكن ينظر إلى نفسه في المرآة، فقد تغير هو الآخر وازداد وزنه بعض الشيء. لو كان ينظر إلى فمه الواسع المتثائب في الصباح، أو إلى منظره ببنطال البيجامة وهو مفتوح والسروال ظاهر، أو إلى يديه الغامقتين من ظهرهما والقاحلتين من باطنهما، أو يستمع إلى هذا التجشؤ

الذي يصدر منه بصوت عالٍ بعد الماء الكثير الذي يشربه، لعرف أنني أتحمل منه الكثير ولا أبالي.

لكنني أحببته بكل عيوبه... أحببت روحه أكثر من أي شيء. فقد كنت على اقتناع تام أن حبنا لشخص لجماله ليس حبًا، ولكن عندما نحبه رغم عيوبه، فهذا هو الحب. أما زوجي، فلم يكن يقتنع بذلك، لم يكن يلتمس الأعذار، بل كان يثور في وجهي دائمًا لتوافه الأمور. كان دائمًا ما يردد أنني لا بد أن يكون لدي جسد مثالي كأجسام الممثلات الممشوقات، وكان دائمًا لا يراني جميلة في نظره. كنت أحاول أن ألتمس له العذر، وأقول لنفسي دائمًا: إنه يحبني، إنه فقط يتمنى لي الأفضل دائمًا، بل إنه يريد أن يراني جميلة.

ولكنني كنت أرى نفسي جميلة في عيون الآخرين إلا هو، وكنت أجد عزائي الوحيد في التصوير. فقد كنت أهوى

الصور كثيرًا، وكنت أتصور في كل موضع وكل مكان، وأحمل البرامج والفلاتر، وأقوم بتعديل صوري وصور أصدقائي دائمًا...

حتى كانت ذات ليلة، وكانت هناك مشادة كبيرة بيني وبين زوجي، ظل يصرخ وينادني بأفظع الألفاظ، ويهينني ويهين جسدي، ويهددني بالانفصال لأنه يبحث عن فتاة جميلة. فدخلت غرفتي، وأغلقت الباب، وفتحت هاتفي، وظللت ألتقط صورًا لي، ثم فتحت برنامج سنابشات واخترت فلترًا يظهر جسدي مثاليًا، ووجهي بلا أي شوائب، وبخلفية في أحد الشوارع المضيئة بنور خافت دافئ، وتظهر في الخلفية بيوت قديمة. كان شكل الفلتر وشكل جسدي مثاليين، ثم ضغطت على زر التصوير، فإذا بي أجد نفسي قد انتقلت إلى نفس الخلفية التي كانت تظهر في سنابشات!

رأيت نفسي في زجاج السيارة التي أقف أمامها بجسد رفيع جميل أشبه بجسد الممثلات! لم أصدق ما يحدث... هل انتقلت إلى عالم آخر؟! نظرت إلى الهاتف، فوجدت أنه قد سجل الصورة وكأنني كنت ألتقط صورة ذاتية لنفسي (Selfie)! كيف يحدث ذلك؟ كيف أصبح جسدي رفيعًا؟ وكيف انتقلت إلى هذا الشارع؟

ظللت أجوب الطرقات وأنا معجبة بجسدي وبنفسي جدًّا، ثم رأيت زوجي يقف في نهاية الشارع عند محل الملابس هناك، يشتري قميصًا! وأقنعني الشيطان أن دخولي المكان ومحاولتي شراء شيء سيبلغني المنى دون أن يكون في عملي خروج على المألوف أو لفت نظر.

كدت أندفع فأحتويه بين ذراعي، وأقول له: انظر إلى جسدي... لقد أصبحت جميلة كما كنت تتمنى! لكنني كبحت

جماح نفسي، واقتربت منه وحييته في نوع من التكلف، وأخبرته أنني ابنة صديقة والدته، وأنني كنت أراه قديمًا في بيت والدته، لكننا لم نتحدث قط. استغرب كلامي، ولكن يبدو من نظراته أنه قد أعجب بي. علا حمرة الخجل وجهه، وبدا الارتباك عليه، ونظر إليَّ نظرة لا يفهمها إلا كل عاشق، وقال لي إنه لا يتذكرني جيدًا، وأبدى لي أن شكلي جميل جدًّا. وصدقته، فقد أصبحت بالفعل بالكثير مما تتشوق إليه النساء.

طال الحديث... حديث ناعم رقيق، تتخلله الضحكات والبسمات والهمسات... بدا حكيمًا وقورًا، لا يتوقع المرء منه هزلًا ولا مجونًا ولا عصبيةً ولا عبثًا... وبدت جلستنا تلك نكلوات ممتعة، ملؤها المشاعر الرقيقة والهمسات الشاعرية والأوهام اللذيذة...

أخبرني أنه متزوج من فتاة بدينة لا يحبها إطلاقًا لأنها لم تعد تهتم بجسدها، وأنني مثال للفتاة التي يتمناها، ثم قال لي: "طبعًا كنتِ تتوقعين أن أصف لكِ زوجتي وكأنها حورية من حوريات الجنة، ذات جسد ممشوق ووجه ناضر وعينين واسعتين... لا يا سيدتي، آسف كثيرًا! وما ذنبي وهي ليست كذلك، ولا ربع ذلك! تسير كالهجين... تدب بقدميها دبًّا على الأرض، وتدفع بجسدها المترهل إلى الأمام... أما أنتِ، فمثال للفتاة الممشوقة التي أتمناها!"

أهكذا تتطاير المبادئ والأخلاق والإخلاص أمام شيء لا قيمة له؟ أمام جمال زائف؟ أمام شيء غير باقٍ؟! الذين أحبوا بقوة لم يحبوا من أول نظرة... صحيح، لقد أحببتك حبًا يفوق الوصف، أما أنت، فلم تحبني على الإطلاق، ولم تحب تلك الفتاة ذات الجسد الممشوق.

نهضت ووقفت، وأنا على بعد خطوات منه، وبيني وبينه ما بين إبليس والجنة... وكان حريًّا بي أن أنصرف عنه بعد كل هذا، لكنني قررت أن أقول له إنني زوجته التي ما زال يهينها. فتحت فمي لأعلن له الحقيقة، ثم وجدت أحدًا يقف خلفي ويشد يدي. نظرت، فإذا بابني يوقظني من نومي... نعم، كان ذلك حلمًا!

نظرت إلى هاتفي، فوجدت صورتي بالجسد الممشوق على سنابشات في أحد شوارع القاهرة الجميلة المضيئة... مسحت الصورة! لم أعد بحاجة إليها.

فراشي ما زالت أغطيته مشوشة ومترامية من نوم الليلة السابقة، وفردة شبشبي المقطوعة ملقاة بجانب الباب، وملابسه المتسخة مبعثرة على الأرض... لماذا أحببته رغم كل هذه

العيوب؟ من المؤلم أن تحب بصدق وتخلص وتغفر، ثم تُصدم بنهاية تخذل كل الصدق الذي قدمته.

خرجت من الغرفة وارتديت أجمل ما لدي، ووجدت زوجي في الصالة جالسًا ببيجامته المتهدلة، ينظر إليّ بازدراء، ثم قال:

– إلى أين أنتِ ذاهبة؟ أما يكفيكِ إضاعة للوقت في التصوير؟! اذهبي إلى دكتور تغذية بدلًا من ذلك حتى تحافظي على جسدك.

قلت له:

– سألتقط صورة جديدة للحياة... سأمحو "سناب شات" وكل برامج تعديل الجسد، وسألتقط صورة لنفسي كما أنا! أما أنت، فليس لك مكان في حياتي بعد الآن.

وها أنا أمامكم... فتاة جديدة.

– ولكنكِ لستِ فتاة بدينة كما يقول زوجكِ؟!

– قلت لكم، لقد التقطتُ صورة جديدة للحياة!

تمثال الحب والحرية

أما ما جعلني أكاد أجري فزعًا، فهو أن التمثال قد بدأ يتحرك! التفتُّ لأرى ما إذا كان أحدٌ قد شعر بحركة التمثال غيري، لكن هذه المعجزة لم تستوقف أحدًا من المارة في هذا الشارع، ولا في الميدان، بل ولا في العالم كله!! الآن، بتُّ أؤمن أنني الوحيدة التي ترى تمثالًا يتحرك من تلقاء نفسه!

أراني أعيش في دنيا غير دنياي، فأكتب عن العشق والغزل والحب، وقلبي يشدو ويرقص طربًا، ولا يرى الحقائق المريرة والوقائع الأليمة، حتى اقتنعت أنني أعيش في عالم غير عالمي، بل لا أعيش على هذه الأرض أصلًا... هذا ما قالته لي صديقتي بعدما حثثتها على أن تكتب في جريدتها عن الواقع الأليم بعد ثورة ٢٥ يناير. حينها قلت لها:

– اكتبي عن تعداد الأموات والضحايا، وعن معاناة الأهالي والشعب بأكمله... اكتبي عن الرؤساء الطيبين، وعن العشيرة والأهل... اكتبي عن ذوي الجأش والقوة، وعمن يدّعون ذلك... اكتبي عن أعداء السلام وأحبائه، وعن الذين ينشرون القيم وهم لا يعرفون عنها شيئًا... إننا نعيش في دنيا غير دنيانا، ولو كان الأمر بإرادتنا، لرفضنا هذا العالم، ولخلقنا يوتوبيا فاضلة خاصة بنا وحدنا... إننا نهرب من عالمنا المرير إلى

عالم "فيس بوك" و"تويتر"، حتى نصبح ذاك الشخص الذي لا نستطيع أن نكونه في واقعنا الحقيقي.

ولكن كلماتي هذه، وإن كانت نصحًا، فلن تغير من الواقع شيئًا؛ فالوقوف على الموتى لن يضرهم شيئًا، فسيظل الباكي باكيًا، والنواح نائحًا، والمنافق منافقًا.

كانت صديقتي تلك جالسة أمامي، تنظر إليّ وتسمع، لكنها لم تكن تستمع إلى شيء مما أقوله... إنها لا تؤمن بهذه القضايا... كل ما تؤمن به هو الحب وحده! إنها مخلوقة شديدة الذكاء، طيبة القلب، مرهفة الحس... إنها دائمًا قانعة راضية، بل تشعر دائمًا أن الله قد وهبها من نعمه ما أعجزها عن الشكر. إنني دائمًا أحب رفقتها وكلامها...

أقول مقدمتي الطويلة هذه، لأنكم بعد أن أحكي لكم قصتها وما روته لي، ستتهمونها بالجنون! ولمَ لا؟! فكل من لا يعرفها

قد يفعل ذلك، فالجنون في هذه الحالة أقل ما يمكن أن نَصِفَها به... لكن بعدما عرفتم عنها بعض هذه المعلومات، لربما تلتمسون لها العذر، وتفسرون قصتها بأنها مجرد هروب من الواقع، الذي حولها إلى إنسانة خيالية إلى أبعد الحدود.

جاءتني ذات مرة وهي في حالة من الذهول والخوف الشديدين، وحينما فتحتُ لها الباب، أسرعت واحتضنتني، وحينما سألتها عمّا بها، قالت:

– هل تؤمنين بتآلف الأرواح؟ أم هل يمكن لأحد أن يرى أشياء تتحرك من مكانها، فينفخ في روحها فتتحدث وتتكلم؟

هالني ما سمعته منها، فما توقعتُ أبدًا أن تلك الفتاة الرقيقة، الصحفية المشهورة، العاقلة، التي توزن الأمور وتُحسن اتخاذ القرارات، تفكر بهذه الطريقة.

حاولتُ أن أقنعها أن ما حدث لم يكن إلا كابوسًا مخيفًا، أو حلمًا مروعًا، لكنها أبت أن تقتنع بما أقول، بل أبت كذلك أن أقتنع إلا بكلامها!

وبدأت تحكي قصتها لي حتى أتأكد من صدق كلامها، وبدأت تروي بهدوء وبلهجة متزنة، كأنها شيخ وقور أو فيلسوف:

– إنني، بحكم شخصيتي الهادئة الرومانسية، أكره الخوض في أي موضوع سياسي، مما يتنافى مع عملي كصحفية. فما كان يهمني في حياتي إلا الحب والرومانسية والكلمات الخلابة العميقة والأحاسيس القوية، حتى إنني لم أتزوج إلى الآن، لأنني لم أجد الفتى الخيالي الكامل الذي أريده...

وذات يوم، كنت ذاهبة إلى إحدى الندوات في ميدان التحرير، لكنني وصلتُ مبكرًا قبل موعدي، فقلت في نفسي:

لمَ لا أتجول في شوارع التحرير القديمة؟ فأرى بيوتها العتيقة، وشبابيكها الكبيرة الأثرية، وحواريها الضيقة، وأستمتع بجمال المنازل والبيوت الأصيلة؟

ظللتُ أجول الشوارع، فأدخل من حارة إلى أخرى، حتى وصلتُ إلى تمثال في إحدى الأزقة... كان تمثالًا لشاب وسيم، مهندم في ملابسه، ويرتدي طربوشًا... وقد وُضع داخل صندوق زجاجي شفاف يكشف عما بداخله... من شدة واقعية التمثال، تكاد تقتنع أنه حقيقي!!!

ظللتُ أحدّق في عينيه، وكأنما أتمنى لو كان هذا الرجل حقيقيًا، حتى إنني بدأت أحادثه وأتكلم معه كأنه موجود، بل أصبحتُ أقول له:

– لو أنك حقيقي... لو تخرج من قوقعتك هذه وتأخذ بيدي... فأنت مثال فتى أحلامي، الذي طالما حلمتُ به!

ثم فوجئتُ برسالة محفورة تحت التمثال، كُتب عليها:

"هذا التمثال هو رمز لكل رجل شرقي قديم محترم، يحترم حياته وبلده، وقد وُضع داخل هذا الزجاج بسبب ادعاء بعض الأفراد أنه يتحرك!"

لا شك أن أي إنسان قد يقرأ هذه العبارة، لا بد أن يخاف... لقد فزعتُ حينما قرأتُها، فلم أكن أتخيل أن هذا التمثال، بجمال هيئته، قد يبعث على الخوف! من شدة هذا الخوف، أحسستُ أن المكان قد أحيط بظلمة حالكة، أشبه بتلك التي يشعر بها الإنسان بعد طول حملقة في ضوء قوي...

أما ما جعلني أكاد أجري فزعًا، أن التمثال قد بدأ يتحرك. التفتُّ لأرى ما إذا كان أحدًا قد شعر بحركة التمثال غيري، ولكن هذه المعجزة لم تستوقف أحدًا من المارة في هذا الشارع، ولا في الميدان، بل ولا في العالم كله!! الآن، بتُّ

أؤمن أنني الوحيدة التي ترى تمثالًا يتحرك من تلقاء نفسه! أنا لا أكذب ولا أبالغ. إنني أنقل ما رأيت في حيرة وعجز شديد... المهم أنني رأيته يخرج من صندوقه الزجاجي ليقول لي: "أرى أنكِ تنظرين إليَّ نظرة ملؤها الحب والإعجاب الشديد..."

حينما بدأ يتكلم، اعتقدت أنني لن أستطيع تحمل لحظة واحدة بعد ذلك، ولابد أنني كنت سأفرُّ لألوذ بما تبقى من حياتي... ولكن لدهشتي، وجدتني أقف وأستمع وأجيب. فقلت له بكل صراحة: "نعم! لم أُعجب في حياتي قط بقدر إعجابي بك، ولم أتمنَّ أحدًا بقدر ما تمنيتك!"

فقال: "هل ذُقتِ الحب من قبل؟"

قلت له: "لا أعرف! ولكنني أعتقد أنني ذُقته مرارًا، فكثيرًا ما كنتُ أُعجب برجال دون الحديث إليهم..."

قال: "إذن أنتِ لم تذوقيه! إن الحب لا يُذاق إلا مرة واحدة فقط! تعالي معي لأريكِ معنى الحب!"

ورأيتني في شارع آخر غير الشارع الذي كنتُ أقف فيه... في دنيا أخرى غير دنياي... دنيا جميلة وبلد آمنة... مصر قديمًا... شوارع خالية وقلوب طيبة... مباني واسعة راسخة...

وظللتُ أمشي معه وعانقتُ ذراعه، وظل يسير بجانبي وأنا كأنني في دنيا الأحلام. وظل ينظر إلى وجهي من آونة إلى أخرى وهو يبتسم، حتى استوقفته وسألته عن تلك النظرات والابتسامة، فأجابني بأنه هو الآخر قد وجد في ما كان يتمناه في رفيقة عمره... تلك التي يشعر معها بالحب والطمأنينة والسكون والأمان والرضا... تلك التي يستطيع معها أن يجوب كل البلاد وهو فخور بها كزوجة مشرفة... إنها تلك المرأة التي توافقه في ميوله وأفكاره، فحينما يحادثها كأنه يتكلم مع نفسه.

وها قد وجدها أخيرًا ولن يفارقها أبدًا... إن سعادة المحب هي تلك التي يرتع فيها في حضن محبوبه بلا خوف ولا وحشة... حينما تنام في حضن حبيبك، تشعر أنك وحبيبك في كفة، والعالم كله في كفة أخرى... إنك الآن لم تعد تحتج إلى شيء آخر... هذا هو الحب...

وإذا أنا في خضم هذه المشاعر، أجد عسكريًا يمسك بذراعي ويهزني ناهرًا إياي على الوقوف أمام هذا التمثال قائلاً:

ـ"لا يمكنك لمس هذا التمثال يا آنسة! بل لا يمكنك الوقوف طويلاً أمامه... من فضلك، غادري المنطقة فورًا!"

صدمتُ حينما رأيت الشرطي أمامي... أين حبيبي؟ أين فتى أحلامي؟ نظرتُ إلى التمثال ووجدته يبتسم كما كان من قبل، وعاودتُ النظر إلى الشرطي وسألته عن سبب هذه الأوامر وعن قصة هذا التمثال، فقال: "إن هذا التمثال كان

لرجل من أهم رجال الشرطة، وقلما تجد مثل هذا الرجل مرة أخرى. فقد كان رمزًا للشجاعة والرجولة والأخلاق، وكان يدافع عن حرية البلد ويؤمن بعمله وبأن المرأة هي الحب، وأن الحب هو أساس الحياة... وأحب فتاة وكاد أن يتزوجها، ولكنه استشهد قبيل زواجه! ولكن الكثير من الناس يدَّعون أن هذا المكان مخيف لأنهم رأوا هذا التمثال يتحرك، ومنذ ذلك الوقت مُنِعَت الزيارات."

هذا هو رجلي الذي طالما تمنَّيته! ولو أنه كان خيرني بين حياتي تلك وحياتي معها في هذا الزمن لما ترددت في اختياره هو، ولكنتُ رفضت كل شيء في حياتي إلا إياه! وأكاد أجنُّ يا صديقتي منذ ذلك الوقت، وأود لو ألقاه مرة أخرى، وأشعر بحزن دفين لأنني لا أستطيع الوصول إليه...

نظرتُ إليها في إشفاق وحب وقلتُ لها: "يا صديقتي العزيزة، لم أعتد أن أراكي في هذه الحالة اليائسة... أصدقك القول يا حبيبتي، لو كان حيًا لكان اختاركِ أنتِ، لأنكِ فتاة رقيقة وهادئة ويتمناكِ كل الرجال... ولكن كل ما أنتِ فيه هو خيالات يصورها لكِ عقلك، ويشدو بها قلبك، فارحمي قلبك! أرجوكِ، أنسي أمر هذا الرجل. إنه في زمن قديم ولَّى وأدبر... وعيشي حياتك الحالية... سأسافر في عمل لمدة أسبوع، وحينما أعود سأخذك في نزهة لأخفف عنك... وأرجو أن أراكِ تتحسنين."

قالت: "سأودعه جسدًا فقط، أما قلبي وعقلي ما زالا معلقين به إلى الأبد!"

إنني في حيرة... هل أصدقها؟ إن بحثها عن الحب والأمان هما ما صنعا ما هي عليه الآن، فدفعا بها إلى حالة من عدم

الاستقرار، فتارة تقذفها الأمواج إلى السطح، وتارة تردي بها إلى عمق الهاوية... إنها تعيش بين القرارة والقمة... بين السطح والهاوية، بين الحقيقة والخيال!

حينما عدتُ من سفري، ذهبتُ لرؤيتها فلم أجدها... بحثتُ عنها في كل مكان وسألتُ أصدقائها عنها، وحينها فقط علمتُ بوفاتها... وفاة طبيعية هادئة!!!

صدمتُ...!! ظللتُ ثلاثة أسابيع لا أفارق بيتي وأفكر... أكان يستحق كل هذا الحب؟ تُرى هل كل ما روته كان حقيقياً أم أن خيالها قد صور لها هذه الحياة الهانئة الكريمة الآمنة، فأبى عقلها وجسدها أن يحييا في عالم آخر غير عالمه ودنيا غير دنياه؟

بعد يومين، ذهبتُ لرؤية التمثال ووضعت بجانبه تمثالًا آخر... إنه لصديقتي، وكتبت بجانبهما: "هذان التمثالان لرجل وامرأة عرفا معنى الحب والكرامة والحرية!"

قصـــــة زوجـــــة

سارة الجزار

لم أتوقع أنني قد أرغب بالحياة بمثل هذه القوة إلا حينما رأيتك! إن الإنسان قد يعيش في هذه الحياة مجرد حياة يطوف بها ويغيرها ويبدلها وكأنه يلعب بلعبة لا يريدها، فيقلبها على كل الاتجاهات عله يجد فيها شيئًا جديدًا، إلى أن رأيتك، فرأيت كل شيء جميل ورأيت في كل دقيقة لحظة أمل وحب وحياة... إنني وسط هذا الصخب من الحياة لا أرى غيرك أنتِ... لقد أصبحتِ كل حياتي وعمري.

إن الإنسان في هذه الحياة قد يتعامل معها وكأنها حجرته، يجول بها وقتما يريد، ينظفها وقتما يسمح له وقته ومزاجه، ويقلبها إذا أراد... ولكنه لا يعلم أبدًا أن هذه الحجرة قد تحترق فجأة وتحرق ما بداخلها حتى صاحبها... العلاقة بين الرجل والمرأة أو الزوج والزوجة هي أصل هذه الحياة، هي جوهر تلك الغرفة... هي عمرك بأكمله... ومع ذلك فهي صعبة الفهم وصعبة المنال أيضًا إلا لمن يقدرها... إن تعريف السعادة هو العلاقة بين الزوج والزوجة. ولا أقصد بذلك العلاقة الزوجية بمعناها العام، وإنما أقصد بها العلاقة التي يقدرها الأزواج حق قدرها... أما من لا يقدرها، فإنها قد تنقلب عليهما وتذيقهما أشد أنواع العذاب... قصتي غريبة ليس لأنها قد تحتوي على خيالات لا يصدقها عقل، وإنما لأنها قد تحتوي على حقائق قد لا يدركها العقل أيضًا! دعوني أحكي لكم قصتي... أنا شاب أبلغ من العمر ٣٤ عامًا، متزوج كغيري من الشباب

بإمرأة عادية جدًا. كثيرون يرونها جميلة، مثقفة، خفيفة الظل، ومتعلمة... كثيرون يعتقدون أنها مثال للزوجة الرائعة التي يتمناها كل الرجال... أما أنا فلست ممن يظنون ذلك... إنني لا أرى كل المواصفات الرائعة تلك فيها... الحق يُقال، لقد تزوجتها بعد حب عميق بيننا دام لسنوات، ولكننا وبعد ثلاث سنوات من زواجنا، أصبحت حياتنا روتينية جدًا لا نأتي فيها بجديد، بل زادت خلافتنا حتى بتُّ أؤمن أنني أخطأت يوم أن تزوجتها... أصدقكم القول... إنني أخاف منها! أشعر أنها من شدة كرهها لي قد تقتلني يومًا ما وأنا نائم، حتى أنها حين توقظني من سباتي، أصحو فزعًا وخوفًا... أي نوع من الحياة تلك التي أعيشها! ولم أنا مضطر لذلك! أود لو أنني انفصلت عنها حتى أحظى بحياة هانئة مع زوجة رقيقة جميلة تحوطني بكل أنواع "الدلع" والهيام عوضًا عن حياتي المملة المليئة بالخناقات والصراخ والمناوشات!

ولكنني ومع كل ذلك كنت أحبها... إنها قصة حبي الوحيد، إنها حبيبتي وأمي وصديقتي... أصبحت في حيرة من أمري ولا أدري ماذا أفعل حتى كنت ذات يوم في جدال ونقاش حاد معها، وصرت أصيح بها حتى ارتفع ضغطي لأنني مريض ضغط، ولكننا ومع ذلك لم نتوقف أبدًا عن تلك المناقشة الحادة وظللنا بين شد وجذب، حتى وقعت مغشيًا عليَّ ولم أشعر بشيء بعدها إلا وأنا جسد مسجى على عربة العمليات في المستشفى لا أرى شيئًا أمامي... ظللت أبحث بعيني عن زوجتي حولي في كل مكان، ولكنني لم أجدها... بالطبع لقد تركتني! وماذا كنت أتوقع منها غير ذلك؟! لابد وأنا فرحت لمرضي وقالت في نفسها أن مرضي لربما كان فرصة رائعة حتى تتركني وتتخلى عني... وبينما أنا في هذا التفكير العميق، إذا بي أجد الدكتورة أمامي وتتحدث مع دكتور آخر زميل لها، توصف له حالتي بأن قلبي ضعيف ولابد أن أجري

عملية قسطرة قلب... ما هذه الدنيا الغدارة التي تدبر عني وقت أن وددت أن تقبل... لو كنت عرفت ذلك الخبر قبل أن أرى تلك الدكتورة، لكنت قبلت العملية والمخاطرة بصدر رحب، أما وقد رأيتها الآن، فقد رأيت نصفي الآخر الذي طالما تاقت له نفسي، والزوجة المستقبلية التي طالما حلمت بها... إنها فتاة في العشرين من عمرها، ذات شعر كستنائي طويل وجميل وعينين ساحرتين بنيتي اللون وبشرة بيضاء كالشمع... كل شيء بها يكاد ينطق من شدة جماله...

جاء لي زميلها وقال لي أن أتحضر للعملية فقد حان وقتها...

ـقلت له: أريد أن ألتقي بالدكتورة صاحبة الشعر الكستنائي، فوافق وأكد أنها ستأتي بعد قليل... جاءتني قبل أن أدخل حجرة العمليات بدقائق وبدأت تجهزني للعملية، فقلت لها: تُرى هل سأخرج من هذه العملية؟ هل إن خرجت سأعيش بكامل صحتي؟ هل من الممكن أن تقبل بي أية امرأة لمجرد أني أحبها؟

_قالت: ولم تود أن تعيش وأن تحب بهذه القوة؟

_قلت: لأنني رأيتك! لم أتوقع أنني قد أرغب بالحياة بمثل هذه القوة إلا حينما رأيتك! إن الإنسان قد يعيش في هذه الحياة مجرد حياة يطوف بها ويغيرها ويبدلها وكأنه يلعب بلعبة لا يريدها، فيقلبها على كل الاتجاهات عله يجد فيها شيئًا جديدًا، إلى أن رأيتك، فرأيت كل شيء جميل ورأيت في كل دقيقة لحظة أمل وحب وحياة... إنني وسط هذا الصخب من الحياة لا أرى غيرك أنتِ... لقد أصبحتِ كل حياتي وعمري. أريد أن أحيا معك بقية عمري... أريد أن أشعر أن حياتي لها قيمة... أريد أن ألمس كل شيء تلمسينه بأصابعك الرقيقة... أريد أن أقف معك وأنت ترتدين ملابسك، وأنت تقرئين كتابك، وأنت تنامين، وأنت تحلمين، وأنت تطبخين لنا بيديك الحانية... أريدك معي في كل لحظة من عمري!

_قالت: إن الحياة قد تعطينا كل ما نريد في وقت ما، وقد تغرر بنا في الوقت الذي يليه فتأخذ منا كل ما جادت به علينا... إنك تعتقد أنك معي ستمتلك الدنيا بما فيها، ولكن قد يخدعك الزمن فيأخذ منك كل شيء!

_قلت: لما تصدينني؟ إنني ما تمنيت الحياة إلا حينما لقيتك، وما خططت لحياتي إلا حينما رأيتك...

_قالت: إنك بعد العملية قد لا تراني مرة أخرى، ولكنك لن تنساني أبدًا لأنني داخلك ومحفورة في قلبك، فأنا وأنت شخص واحد!

ثم نادت بعدها على الممرض ليأخذني إلى غرفة العمليات، وبعد العملية فتحت عيناي لأجد ضبابًا يحيط بالغرفة، ووجدت حبيبتي تهم بالخروج من الغرفة. فسألتها: لما ستتركيني؟ ألم أطلب منك أن تنتظريني إلى الأبد؟ إنني لطالما

انتظرتك ولا أتخيل أن أفارقك، ولكنها نظرت إليَّ بكل حزن وقالت: أنت بداخلي دائمًا...

أفقت بعدها من غفلتي لأجد نور الشمس قد ملأ الغرفة، ووجدت زوجتي جالسة بجانبي، وتأكدت وقتها أنني لن ألقى صاحبة الشعر الكستنائي مرة أخرى!

وخرجت من المستشفى وعدت إلى منزلي، ووجدت بيتي كما هو وكأنه ينتظرني، ثم وجدت زوجتي تقول لي:

ـمرحبًا بك في منزلك يا حبيبي... لقد مر عليَّ هذا الأسبوع وكأنه دهر من الزمان، ولم أتخيل أنني قد أحيا من دونك... حتى وإن كانت حياتنا كلها خلافات، إلا أنني أحبك ولن أتخيل فقدانك، فأنت كل ما لي في هذه الحياة، وسأفعل كل ما تريد حتى أُرضيك!

ـقلت في نفسي: لو أنها قالت لي تلك الكلمات قبل أن ألقى فتاتي التي سهرت بجانبي وأمدتني القوة حتى أخرج من المستشفى... لو أني سمعت تلك الكلمات قبل أن أرى فتاتي الجميلة الرقيقة، لكنت أدركت قيمة حياتنا.

ثم وجدت زوجتي قد وجهت وجهي ناحيتها وقالت لي: أعدك أنني سأصبغ شعري باللون الكستنائي إن كان هذا هو ما يعجبك!! ألن تطلب مني أن أنتظرك كما كنت تتمنى؟!

لقد صعب عليها أن أتخيلها امرأة أخرى طوال تلك الفترة، وفهمت معنى جملتها حينما قالت لي أنها ستظل بداخلي حتى لو لم تراني مرة أخرى. لقد ظللت أتخيلها واحدة أخرى ذات شعر كستنائي وأناديها وكأنها ليست زوجتي، ومع ذلك تحملتني ووقفت بجانبي. لقد أدركت كم أخطأت بحقها... كم كانت تستحق عطفًا أكثر من ذلك، وحبًا واحتواءً أكبر من ذلك...

كم كان يرضيها كلمة جميلة لننهي خلافنا، ولكنني كنت دومًا أرفض أن أصالحها... أصدقكم القول إن السعادة هي علاقة الزوج والزوجة إذا قدر كل منهما الآخر، وعرف قدر الحياة التي وهبها الله لهما.

لحظة غضب

سارة الجزار

جلست على السرير في عجز وتنهدت، ورفعت رأسي لأرى ذلك الفستان الأسود الذي طالما أحببته أنت معلقًا في دولابي... قمت من مكاني وأخرجته ولبسته وتزينت، فلقد قاربت على الوصول!

ولكن، لما اهتم بك وبما ألبسه لك... تذكرت أغنية كلمات لماجدة الرومي: "تُرى بأي الأثواب سألقاه؟!" أما زلت أحبه... لا... لا يمكن... لقد قررنا الانفصال... أ بكلمة رقيقة منه أعود لسابق عهدي معه؟!! لا لن أعود! إنني فقط أتزين لنفسي وألبس لنفسي! وهل لابد أن أظهر بمنظر الشحاتة حتى أستطيع أن أقابله وأن أتحدث معه؟

إن الإنسان لا يدرك قيمة ما لديه إلا حينما يفقدها! هذه العبارة معروفة لدى الكل، ولكن لا أحد يقدرها ويشعر بها إلا من مر بموقف يستحق أن تُقال فيه هذه العبارة... إن الإنسان حينما يتملكه الغضب، قد ينسى كل شيء جميل في حياته، وقد يغيب عن باله كل النعم الجميلة التي أنعم الله بها عليه، بل قد يصل به الأمر أن لا يبالي بها فيستغني عنها ويستنكرها ويكرهها، وحينئذ يأخذها الله منه فيدرك قيمتها ويندم على ما فاته. أقول هذا لأنه ليس هناك على وجه الأرض إنسانٌ كامل حتى لو ظن نفسه ذلك، وحينما يهبك الله شريكًا وحبيبًا، عليك أن تتغاضى عن بعض عيوبه، وتتقبله كما هو، بل وتنظر إلى نعمه وصفاته الجميلة التي وضعها الله فيه، والتي قد يسعدك بها حتى تستطيع أن تحيا معه حياةً قانعًا راضيًا بها. أقول تلك الكلمات لأنك يا سيدي حينما تستمع لقصة

صديقتي التي سأرويها لك الآن، ستدرك قيمة شريكك وستعرف أن الحياة أكبر من كل خلاف.

كلمتني صديقتي وهي منهارة بعد خلاف كبير بينها وبين زوجها، أدى إلى تركها لمنزلها لمدة شهر ظنًا منها أنها ربما تهدأ، ويعود كلاهما إلى الآخر بعد هذه الفترة من النقاهة إلى حياتهما من جديد، ولكن بعد تلك الفترة التي دامت شهرًا، قابلت زوجها في كافيه بالخارج لتتحدث معه عن حياتهما مرة أخرى، ولكن فوجئت أن النقاش قد تحول إلى خناقة وعراك، فطلبت الانفصال وخرجت من المقهى لتذهب إلى منزلها لتحزم حقائبها، ثم كلمتني من منزلها وهي في حالة من الهزيان والانهيار قائلة:

ـأرجوك لا تتأخري، تعالي بسرعة شديدة فأنا في أشد الحاجة إليك.

حينما دخلت المنزل أحسست كم أفتقد منزلي وحياتي، ونظرت إلى جدران المنزل وإلى حجراته، أستنهى كل هذه الحياة، ألن أرى هذه الحجرة مرة أخرى؟ ألن أجلس على هذه الأريكة مرة أخرى؟... تهاويت على الكرسي وأنا لا أصدق أن حياتي وأن كل ما بنيته سينهار... وشردت وكأن ما انصرم من العمر لم ينصرم، إنني لم أعد أنظر إلى الدنيا بعين الرضا الكليلة عن كل عيب... إن الدنيا لا تستحق شيئًا بعد هذا الوفاء... كيف يقابل حبي له بهذا الجحود والبرود... كيف أصبح باردًا قاسيًا إلى هذا الحد؟! فمن المؤلم أن تحب بصدق وتخلص بصدق وتغفر بصدق وتعفو بصدق، ثم ترجع لتعيش حياتك مرة أخرى بكل صدق وحب، ثم تصدم بنهاية تخزل كل الصدق الذي قدمته!!

نظرت حولي ورأيت صورته، أمسكت البرواز وكأنني أكلمه: هل تسمعني؟ تسمعني أو لا تسمعني، لا يهم!! الآن

فقط أستطيع أن أتحدث دون أن تقاطعني، دون أن تصب علي غضبك الداخلي وتوهمني أنني أنا من أخطأت وتعلق علي كل أخطائك! الآن أستطيع أن أصب عليك جام غضبي، فلا تملك له دفعًا! اسمعني صاغرًا مطيعًا بلا شكوى ولا كلمة، فأنا الآن سيدة الموقف، أو دعني أسالك: أكنت أستحق منك كل هذه القسوة وذلك التجاهل الذي يقتل الحب، ولحظات النسيان التي تُميتني! لست أدري أي شيطان ضاحك يدفع بهذه الذكريات المؤلمة إلى ذاكرتي الآن.

رفعت رأسي لأرى كراسةً على المكتب فيها ذكريات حبنا القديم وأيام خطوبتنا. تذكرت كلماتك، تذكرت لقاءاتنا الرومانسية وأوقاتنا الجميلة، تذكرت كيف كنتَ في أيام خطوبتنا تعجبك حركاتي وهمساتي، كيف كنتَ تهمس في أذني بأنك تغيرُ عليَّ ممن حولي، تذكرت كيف كنتَ تقبِّل يدي وأنتَ تسرح وتهيم بي... كيف كنتَ تشرب من كأسي

حتى تشعر بنكهتي في فمك! أهيم أكثر فأتذكر أكثر، وما أكثرها وأوجعها من ذكريات... أتذكر يومَ أنْ كنا في شارعٍ ما، وانحنيتُ لأنظف حذائي، فانحنيتَ أنتَ قبلي لتنظفه لي وقلتَ لي: "أنتِ ملكتي، والملكة لا تنحني!"

أين ذهبتْ كلُّ هذه اللحظات! أكان لا بد من الخناق حتى نتذكرها؟!!

رنَّ جرسُ الهاتف، نظرتُ فوجدتُ الهاتف يذكّرني بموعد إحضار هديتك بمناسبة عيد زواجنا. كنتُ دائمًا أنتهز الفرص لأحظى معك بأمسيةٍ رقيقة... كنتُ أرتّب المنزل وأنثر القلوب، وأبعثر روائح العطر الخاص بي في كل مكان، حتى حينما تدخل منزلنا وتشمُّ رائحته، تشعر أنني وهذا العالم الرومانسي شيئٌ واحد...

قاطعني صوتُ رنين جرس الهاتف مرةً أخرى، نظرتُ فوجدتُه أنتَ... رأيتُ الاسم الذي سجلتك به على الهاتف: حبيبي... أكنتَ فعلًا حبيبي وشريكَ حياتي؟ أكنتَ تستحق هذا اللقب والألقاب الأخرى التي سميتك بها؟ أكنتَ تستحق ذلك الحب؟

ما زال الهاتف يرنُّ، ما زلتَ تتصل... أجبتُ:

- نعم؟!

- إزَّيك؟ أنا مش عارف أقولك إيه؟!!

- أنا شايفة إنك خلاص قلتَ كل حاجة!

- بس أنا شايف إن في بيننا حاجات أكبر من كده بكتير... أنتِ عارفة إنك غلطتي فيا، وطول عمرك بتغلطي فيا، وما بيفرقش معاكي زعلي!!

- !!!!!

- ما بترديش ليه؟؟؟!!

- هرد أقول إيه؟ إحنا هنفضل نلف في نفس الدائرة بلا هدف... أنا أقولك: "أنتَ غلطتَ وزعلتني وقسيتَ عليَّ"، وأنتَ تقولي: "لا، أنتِ اللي غلطتي!!" وبعدين، إحنا مش اتفقنا على الانفصال خلاص!!

- !!!!!

- مش بترد ليه؟!

- مش لاقي كلام... أنا مقدرش أبعد عنكِ، أنتِ كل حياتي!

- أنا خلاص قررتُ أني مش هقدر أعيش في الذل والمهانة والإهمال والقسوة دي تاني.

- وأنا هاجيلك دلوقتي، لازم أقنعك تفضلي معايا، أنا بجد ممكن أموت من غيرك!

أغلقتُ السماعة ووضعتُ الهاتف على التسريحة... لمحتُ بعيني العطر الخاص به... فتحته... شممته... آآآه من لحظاتنا الجميلة... كم عطَّرتُك بهذا العطر ووقفتُ أمامك وأنا أضعه لك، وقلتُ لك: "أحبك، فأنت سندي وحياتي وعمري"، واحتضنتُك وشممتُ رائحة عطرك، فاحتضنتُك أكثر وأكثر، فأنتَ حبُّ حياتي، وكأنني أريد أن آخذ من حضنك وحنانك ما يكفيني عمري كله...

أكانت تلك اللحظات من الحب حقيقية، أم أنني كنتُ أحيا معك بين السطور والكلمات في دنيا من الوهم وعالم من الخيال؟!

إنني حينما أحيا في عالم الحب، أشعر وكأنني فتاةٌ جميلةٌ مشرقةٌ تجري وسط الزرع الأخضر تحت ضوء الشمس، تتحدى الرياح وتمرح وكأنها ريشةٌ تتقاذفها الرياح في كل مكان، أما حينما أحزن معك، فأشعر وكأنني فتاةٌ عجوزٌ لا تفعل شيئًا سوى الرقود كقطعةِ أثاثٍ بالية، ترقب السقف والجدران وكل تفاصيل المنزل، وتهز قدميها ورأسها في عجزٍ ويأس!

لا شك أن في اليأس نوعًا من الراحة - راحة الاستقرار على حال... حينما يتعب الإنسان، فإنه يقرر اليأس والتخلي عن النعمة التي أحاطها الله به، ولا يحاول استعادتها... هكذا يرتاح البال ويستكين الجسد بعدما وصل إلى هوة القاع!

أهكذا يا حبيبي أصبحنا نتحدث عن هوانا وكأنه شيءٌ عابرٌ، شيءٌ من التاريخ!!

جلستُ على السرير في عجزٍ، وتنهدتُ ورفعتُ رأسي لأرى ذلك الفستان الأسود الذي طالما أحببته أنتَ معلَّقًا في دولابي... قمتُ من مكاني وأخرجته ولبسته وتزينت، فلقد قاربتَ على الوصول!

ولكن لماذا أهتم بك وبما أرتديه لك؟! تذكرتُ أغنيةَ "كلمات" لماجدة الرومي... "تُرى بأيِّ الأثواب سألقاه؟!"

أما زلتُ أحبك؟ لا... لا يمكن... لقد قررنا الانفصال... أ بكلمةٍ رقيقةٍ منك أعود لسابق عهدي معك؟!! لا، لن أعود!

إنني فقط أتزين لنفسي، وألبس لنفسي! وهل لا بد أن أظهر بمنظر الشحاذة حتى أستطيع أن أقابلك وأتحدث معك؟! لماذا لا أكون في أبهى صورة لي حتى تندم على ما فاتك وما سيفوتك؟!

أمجنونةٌ أنا؟ ولماذا أريدك أن تندم؟!! سأدعني من هذه الترهات وأجهِّز نفسي...

لبستُ حذائي العالي الكعبين... أنا لا ألبس الكعوب العالية في المنزل... ماذا بي؟ أأصبحتُ أهتم بنفسي أكثر من ذي قبل؟ كنتُ قبل ذلك لا يهمني شكلي حينما تعود... نظرتُ إلى المرآة بالفستان الأسود والكعب العالي وأنا مصففةٌ شعري...

حتما سيعجبُه... أقصد حتمًا سيندم...

رنَّ جرسُ الباب... إنه هو...

أسرعُ إلى الباب... أتراجع مرةً أخرى وأنظر في المرآة وأنا سعيدة... لماذا أنا سعيدة؟!

أجري إلى الباب حتى لا يعتقد أنني لستُ بالمنزل فيمشي... فليمشِ... ماذا إذن في ذلك؟ لم أكن أريده أن يأتي أصلًا... أرسم على وجهي الغضب والوجوم، وأفتح الباب!

تظهر على وجهه علامة الذهول والإعجاب، وأنا أكاد أقفز من الفرح في داخلي، ولكن ما زال وجهي يعتليه الغضب والوجوم... فيقبل عليَّ ويقول لي:

- لا أعرف ماذا أقول... أود لو ألفظ كل كلماتي مرةً واحدة حتى أخرج ما في صدري... ولكن...

- لا أريدك أن تقول شيئًا... لقد اتفقنا على كل شيء من قبل، ولا أظن أنني سأتراجع عن...

- أحبك، ولطالما أحببتُك، وسأظل أحبك متى حييتِ، فأنتِ كلُّ ما لي في هذه الحياة... إنني بالفعل تغيرتُ حينما

أدركتُ أنكِ ستبتعدين عني... كنتُ أعتقد أنكِ لي، وأنكِ ستظلين بالمنزل مهما حدث بيننا، ولم أتخيل يومًا أنكِ قد تملّين وجودكِ معي وقد تهجرينني...

- !!!!!!

رأى في عيني دموعًا تترقرق، تخيلتُ كلَّ حياتنا معًا...

- لقد كنتَ دومًا زوجي وحبيبي، ولطالما ستكون متى حييتَ!

أمنية واحدة تكفي...!

سارة الجزار

صعب عليّ تصديق ما رأيتُ صديقي عليه... ما رُوِّع قط في حياته بموت أحدٍ يعرفه بقدر ما أحزنه موت هذه الفتاة. لا أنكر أنه قد أوصاني عليها بشدة بوصفي طبيبها المختص بعلاجها، بل لا أنكر أيضاً شدة إلحاحه بعدم تركها لحظة، وبالسماح له بزيارتها في كل وقتٍ وكل ساعة، حتى في الأوقات غير الرسمية... ولكنني لا زلت لا أصدق أنه من الممكن أن تنشأ علاقة حب في هذه الفترة الوجيزة من تعارفهما... إنها لا تعدو أن تكون تلميذة لجأت إليه في نهاية العام الرابع من دراستها ليشرح لها بعض الأمور المستعصية عليها... ولم تدم تلك الفترة إلا ثلاثة أسابيع فقط.

وقد اعتبرتُ توصيته هذه بالاهتمام بها حين مرضت شهامةً منه... فقد تعودت أن أراه رجلاً شهماً، يساعد الناس، كريماً، ودوداً، مرهف الحس، رقيق المشاعر... وقد كنت أكره أن أرى الزمن قد هزمه وخيب آماله، وهو الرجل الطموح

الجسور، فما من شيء أوقفه عن بلوغ مطامحه. ولكن كلما أنظر إلى وجهه الآن، أرى أنه من العسير عليه أن يقتنع أن ما حدث كان من الواقع في شيء!

لا زلت لا أستطيع أن أصدق ما آل إليه صديقي... لم يبقَ من جسده إلا حطاماً بالياً وعظاماً نخرة... وحينما أجلس أمامه، وأرى عينيه قد تورَّمتا من شدة الحزن، وأنظر إلى حدقتيه اللتين تترجحان في مقلتيه ولا يطبق عليهما الجفن أبداً، وأتعجب لجسده الأهيف وهيكله الضاوي... وأتعجب أكثر كيف يسهر ليله حزيناً ملتاعاً، وقد أثقل الحزن كاهله وانقضَّ السهر ظهره... حينما أرى كل ذلك، تزداد حيرتي، ولا أكف عن هز رأسي تعجباً وتمرداً على حاله... وأجدني في النهاية لا أملك إلا أن أُلملم جسده المُسجى على الأرض، فأُريحه في سريره وأذهب لحالي...!

كنت شديد الرغبة في أن أسأله عن سرِّ هذا الحزن العميق، ولكنني كنت كلما أرى سحابة الهم التي كانت تعلو وجهه، أُراجع نفسي وأُرجئ كلامي معه حتى يفيق مما هو فيه. وذات يوم، ذهبت إليه كعادتي ودلفت إلى حديقة منزله، وقد ران عليها سكون يكاد يُسمع فيه تنفس الورق، بعد أن كان يُسمع فيها زقزقة الطيور وهمس النسيم... فتح لي الخادم باب الفيلا، ودخلتُ لأجده غارقاً في حزنه... وسمعتُ حشرجةً في صوته من شدة الحزن، حتى لكأنك تشعر أن حنجرته قد سُدَّت... ورأيته قد رجع إلى الوراء وأغمض عينيه، وشعرتُ أنه يحاول أن يُغلق ذهنه أيضاً، ولكن ذهنه كان قلقاً متيقظاً، محملقاً في صورة لا يبغي عنها حَولاً... وتتساقط الدمعة تلو الأخرى من مقلتيه وهو مغمض العينين. فاض بي الكيل، وانفجرتُ فيه غاضباً:

- "إلى متى ستظل على هذا المنوال؟ لقد أهملتَ جسدك حتى صار كالهيكل الضاوي الذي لا يحتمل شيئاً، أو كأوراق الشجر المترنحة التي سرعان ما تذروها الرياح... وما يزيد من تعجبي أن موتها قد روَّعك كما لم يُروع خطيبها... إنها لا تنتمي إليك من قريب أو من بعيد... كما أنك لا تعرفها إلا منذ ثلاثة أسابيع فقط! ثم ماذا ترجو منها، وهي لا تعرف حتى أنك تحبها؟!"

فتح عينيه المغرورقتين بالدموع، وقال:

- "إنه من العبث أن أروي لك ما يحزنني، فلا فائدة الآن... لقد ضاعت آمالي وأحلامي، وانتهى كل شيء، وبدلاً من أن تُزف إليّ، زُفَّت للقبر، وشيِّعت للموت والرماد."

- "تُزف إليك؟! كيف ذلك وهي فتاة مخطوبة؟! هل يضيرك أن تحكي لي كيف أحببتها في هذه الفترة؟ كيف بدأ الحب منذ ثلاثة أسابيع؟!"

- "ثلاثة أسابيع؟!!!!! إني أحبها منذ بدأتُ أعرف معنى الحب، منذ بدأتُ أدرك أن للحياة قيمة... كنا نسكن في الحي ذاته، وكنتُ أستيقظ كل صباحٍ مبكراً لأراها... فقد كانت معتادةً على الجلوس باكراً في شرفتها... كنا نتبادل الابتسامات، كنت مغرماً بها، بكل حركة تقوم بها، بكل كلمة تنطقها، بعينيها... بنظراتها... وخُيِّل إليّ أنها أحبتني هي الأخرى... وأقول خُيِّل إليّ، فلم أكن متأكداً من مشاعرها... فقد كنتُ وقتذاك شاباً فقيراً في الجامعة، لا يملك شيئاً سوى تفوقه وذكائه...

أرادت الحياة أن أبتعد عنها... انتقلنا لمسكن آخر، ولكنه كان انتقالاً سطحياً فقط... قلبها كان معي في كل مكانٍ انتقلتُ إليه، وحبها كان يلازمني، وسحرها وطيفها كانا ظلي الذي أسير به.

أدركتُ أنه من العبث أن أتقدم إليها، فقد كان والدها من ذوي الشأن في البلد، وكانت عائلتها من أصل تركي... هؤلاء الذين ينتمون إلى عائلات البشوات... وأنت تعرف كيف يفكر هؤلاء... ولذلك، ما كنت أتمنى في حياتي قط سوى أن تظل خاليةً طوال سنوات الجامعة حتى أنهي دراستي وأعمل في الجامعة. حينها سأكون ذا شأنٍ مرموق، وحتماً سيوافق أهلها على زواجنا...

ستقول لي: ولِمَ لمْ تفاتحها وتصرح لها بحبك حتى تنتظرك وتضمن أنت بقاءها خاليةً لك؟ ولكنني لم أشأ أن أفعل

ذلك... وما أظن أحداً كان لائمي إذا ما عرف شعوري... لم أرد أن أبقيها بجانبي، وأنا لا أضمن حياتي... كما أنه كان من الممكن أن أصرح لها بحبي حينما كنا صغاراً نلهو مع بعضنا... فما أظننا في طفولتنا نندم على هفواتنا وأخطائنا... أما وقد كبرتُ وصرتُ شاباً يافعاً ناضجاً، وصارت هي فتاةً ناضرة جميلة... وأصبح كلٌّ منا يدرك قيمة الكلام والمشاعر، صار من العسير أن أُصرِّح لها بحبي...

ربما أيضاً كان خوفي من أن تصدمني بعدم حبها لي حائلاً يمنعني هو الآخر من أن أُفضي بما في داخلي لها... فقد كان يرضيني أن أعيش على أمل أنها تحبني... وكان يكفيني منها ابتسامتها ونظراتها المليئة بالحب والسعادة كلما مررتُ بنافذتها... ولم أكن أطمع في أكثر من ذلك... ولكن القدر قد بخل عليّ بهذه الأمنيات البسيطة أيضاً."

وبالفعل أتممت دراستي ونجحت بتفوق... ولكن القدر قد سخر مني أشد سخرية... ففي اليوم الذي عُينت فيه معيداً بالكلية، أسرعت إليها وبداخلي فرحة تشدو وقلب يرقص... لم أكن أعلم كيف سأعبر لها عن سعادتي، وكيف سأقول لها إنني عُينت، وكان أقصى ما يهمني ويسعدني أنني سأتقدم لها في اليوم التالي.

وضحك القدر وسخر مني حينما علمت أن ذاك اليوم كان يوم قراءة فاتحتها! كم كان أليماً أن أسمع ذلك بعد هذا الانتظار المرير... حزنت كثيراً، ولكن كان ما يصبرني هو تلك اللحظات التي كنا نبتسم فيها لبعضنا، وحسبي من الحياة هذه الهنيهات الخاطفة... وظللت على هذا المنوال فترة من الزمن، أراها خلسة في الكلية وهي تدرس عندي، ولكنها لا تحس بوجودي... فقد كنت أكره أن يمس نفسها حزن مني أو أن يصيبها ضيق.

حتى جاءت لي لأشرح لها بعض الدروس... وقد كانت هذه بالنسبة لي فرصة قلَّ أن يجود بها الدهر... وكنت حينما أشرح لها الدرس، أسرح في وجهها الصافي الناضر، وفي شعرها الأسود المسترسل، وكأنه الليل الجميل، وفي طيبتها المحفورة في قسماتها، وفي بسمتها الهادئة الخجولة المرتسمة على وجهها... وكانت هي بالنسبة لي كالملكة المتوجة على العرش وقد أشرأبت نحوها كل الأعناق من فرط جمالها وحسنها... ثم أدرك فجأة أنها فتاة مخطوبة، فأعود لتذكر الماضي الأليم، وذاك اليوم، يوم قراءة فاتحتها، وكأن صرحه يقف بين أنقاض ذكرياتي شامخاً مضيئاً.

أطرق صديقي رأسه إلى الأرض وكأن شباب الدنيا كله قد خمد وانطفأ، فقلت له:

- وماذا بعد؟ أم أنك لا تستطيع أن تكمل؟

قال:

- لا شيء جديد... فما حدث بعدها هو أنها جاءت إلي ذات يوم لتخبرني أنها نجحت بامتياز، ثم سقطت فجأة على الأرض... فزعت لأجدها كالجثة الهامدة على الأرض، وكأن النجوم قد انطفأ بريقها... وسرعان ما حملتها في سيارتي، وأحضرتها إليك في خوف وفزع... ظللت معها كما رأيت أنت، أزورها في كل وقت وكل ساعة... لم أكن أريد أن أفارقها.

قلت له:

- ولكنني أخبرتك أنه لم يبقَ لها في الحياة سوى أيام قلائل، ومع كل هذا وجدتك قد فزعت حينما علمت بوفاتها...

- في الحقيقة لم أصدق أن حبيبتي ستموت! فلو تعلم أنت سخرية القدر مني للمرة الثانية، لكنت صدقت كلامي.

حينما كنت أزورها في هذا الوقت، كنا نتحدث كثيراً، وكانت تحكي لي عن حياتها. وبرغم أنني لم أرد قط أن أصارحها بشيء مما في داخلي، إلا أنني لم أجد نفسي إلا مسترسلاً في كلامي ومعبراً عن كل مشاعري... فحكيت لها كيف أن حبي لها كان أشبه بالحب الأفلاطوني السامي الرفيع... ولدهشتي، صرحت لي هي الأخرى بحبها لي، ثم ذكرت لي كيف أنها يئست من أن أتقدم لخطبتها، واعتقدت أنني لا أحبها، ولهذا وافقت على خطيبها...

ساءني أن أسمع تلك الكلمات منها، وأنا الذي أحبها بكل كيانه وعقله وجسده، ولكن أسعدني منها سؤالها حين قالت:

- أما زلت تريدني زوجة لك؟

- قلت لها: وما كان يهمني في الحياة غير ذلك؟

- قالت: إذن، سألغي خطبتي ونتزوج بعد أن أخرج من هنا...

خرجت من المشفى لا أصدق أن الدنيا قد ابتسمت لي أخيراً، وقلت في نفسي: إذا كان القدر قد حرمني لذة السنين الطوال، فلماذا لا أستخلصها كلها من براثنه في أيام قصار؟ وقلت لنفسي: لربما تبتسم لي الحياة مرة أخرى وتعطيها فرصة أكبر للحياة معي... ودَّعتها وهي تمسك بيدي وتضغط عليها مبتسمة، وتؤكد لي أن والدتها في انتظاري للتقدم لخطبتها!

وما كدت أخطو خارج المشفى حتى جاءتني مكالمتك التي أكدت لي فيها أنها قد فارقت الحياة... يا أيها القدر العظيم! أشكرك على سخريتك بي للمرة الثانية! لو كنت رجلاً، لكنت استطعت أن أفتك بك... ما هذه الحياة؟ أفي لحظة يكون

أحباؤنا ملءَ أبصارنا وملءَ أسماعنا، وفي اللحظة التالية يصبحون كأنهم عود كبريت قد انطفأ، أو رماداً تذروه الرياح...؟!!!!

أبعد كل ذلك ما زلت تجد الحزن والصمت قليلاً عليها؟!

أطرقت برأسي إلى الأرض في حزن وأسى، وصمتُّ، فلا أعتقد أن شدة الحزن الذي أصابني قد يجعلني قادراً على الحديث... خلد كل منا إلى النوم، وفي صباح اليوم التالي، وجدت صديقي كما هو على كرسيه لا يتحرك، فتفقدته، وأدركت أنه فارق الحياة من فرط الحزن عليها... ووجدت بجانبه رسالة، حينما قرأتها خُيِّل إلي أنه وهو يكتبها قد أمسك بالقلم بين ضلوعه لا بين أصابعه... يقول فيها:

"أيها القدر... لا أظنك قادراً على السخرية مني للمرة الثالثة... سآتي إليكِ يا حبيبتي... إن كنا قد افترقنا في الدنيا، فلا بد أن نجتمع في مكان آخر... أشعر أن روحي آتية!".

نظرت إلى الرسالة في ذهول، ورأيت أن الصمت الآن أبلغ من الكلام!

يا نفسي...

حان موعد الشك!!

لقد عاتبت نفسي على هذا الشك، وقلت: وما المانع في أن تفعل ذلك؟ ولكنني عرفت أن هذا الرجل قد تم إحالته إلى المعاش، أي أنه قد أصبح لا يملك أية صلة بالعمل... وحينما قرأت ملفه، وجدت أن سيرته – وهو في سابق عهده – كفيلة بأن تجعل أي شخص يتبرأ منه، فهو لم يكن بالرجل الصالح الذي يجعلك تتمنى مصادقته وتسعى وراء الحديث معه!!!

الوجود والعدم يتساويان، الأبيض والأسود يتساويان، حتى الحياة والموت يتساويان... كل شيء ونقيضه في هذه الدنيا يتساويان في مستوى القوة... فما المانع إذن أن يتساوى الشك واليقين في عقلي؟! فبه أستطيع أن أشك في كل شيء، وبه أستطيع أيضاً أن أتيقن من ذات الشيء بعينه في الوقت نفسه!!

كان هذا هو مبدأه في الحياة، وإن لم يكن في الموت أيضاً، وسنته ومذهبه في كل أمر يفكر فيه أنه ليس هناك معيار واحد لشيء بعينه... نفسه هيأت له ذلك، وهيأت له حياة مليئة بالاضطراب، مليئة بالخوف والشك في أي شيء وفي كل شيء... وكانت نفسه تسيطر على كل أحكامه، وحينما يهرف القلب بعد أن أعيته أحكام النفس والعقل، لا يجد سوى التجاهل، فتئن مشاعره بالحزن على نفس صاحبنا وتشفق على حاله.

الشك جميل، والتفكير فيه مفيد، ولا ينبو عنه نابية شر ما دامت نهايته اليقين، فإذا ما اتخذه صاحبه مذهباً له في الحياة، ضاقت عليه حياته، وأضحى نعيمها جحيماً، وخيرها شراً، وباتت الحياة لا تُحتمل...!

كانت هذه هي نفسه المضطربة، الشاكة، التي يؤثر فيها كل لغط وكل حديث... ولم يكن يشعر أنه حانث في تفكيره، أو في ظلمه لأقرب الناس إليه... بل كان يشعر أن نفسه سامية، لا عيب بها ولا هنة... وأن شكه دائماً يبدو صحيحاً حتى وإن ظهر في النهاية أنه مخطئ... فهذا الخطأ نابع من طوابع الأشخاص الذين جبلوا على تغطية الحقائق حتى ينأى كلٌّ منهم بمعزل عن العالم، كلٌّ منهم في حاله... فتصبح هذه السمة سجيتهم التي تطبعوا عليها.

كان له صديق متين الخلق، قوي الإيمان، ودائم السؤال، فهو نعم الأخ، وكان دائماً ما يحدثه عن شكه في واحدة من أقرب الناس إليه... فلا يكاد يمر يوم أو لحظة إلا ويشكو له كيف أن شكه فيها يكاد يقتله... ولكنه لا يملك دليلاً عليه... وبالرغم من ذلك، فهو واثق كل الثقة، وعلى يقين مما يقول... ولا يمكن أن تكون ريبته هذه خاطئة، لأن هذه السيدة تقيم معه في المنزل نفسه، وتفعل ما تفعل أمامه كل يوم، وفي كل ساعة... نعم، إنها أمه... لا يصدق أنها تحب رجلاً آخر غير زوجها، غير والده... فأمه هذه سيدة حسنة الخلق والسلوك، سجيتها هي الطيبة والحنان، ما من شخص يراها إلا ويحبها لكرم أخلاقها وعذوبة ألفاظها... وكانت جميلة المعشر، حلوة الحديث مع كل أفراد الأسرة ومع زوجها... فكيف إذن تحب شخصاً آخر؟ وما الذي يدفعها إلى ذلك؟

سأله صديقه إن كان متأكداً من ذلك؟! وحتى إن كان متأكداً، فما الدليل إذن؟ قال له: "لا أملك دليلاً مادياً، وإن كنت أرى في حديثها مع زميلها هذا في العمل هذه الساعات الطويلة ريبة في الأمر، وظناً بأن هناك علاقة بينهما... وما يؤكد ظني وحديثي أنها تتحدث معه في الأوقات التي يخلو فيها المنزل من أبي... فبمَ تعلل ذلك؟".

صمت صديقه وأطرق برأسه إلى الأرض، وسادت فترة قليلة من الصمت أعقبها صاحبنا بقوله: "لقد عاتبت نفسي على هذا الشك، وقلت: وما المانع في أن تفعل ذلك؟ ولكنني عرفت أن هذا الرجل قد تم إحالته إلى المعاش، أي إنه قد أصبح لا يملك أية صلة بالعمل... وحينما قرأت ملفه، وجدت أن سيرته - وهو في سابق عهده - كفيلة بأن تجعل أي شخص يتبرأ منه، فهو لم يكن بالرجل الصالح الذي يجعلك تتمنى مصادقته وتسعى وراء الحديث معه!!! وما يزيد من ريبتي

أن والدتي تسعى الآن للانتقال للسكن في العمارة نفسها التي يقطن بها، وأبي يوافقها الرأي... ولم لا؟ فهو لا يعرف شيئاً، وهو يثق بها ثقة عمياء... كل ما يعرفه أبي رغبتها في الانتقال إلى مسكن رحب... وأغلب ظني أنها تخطط لذلك... لا أعرف ماذا أفعل؟ نفسي تحيرني، وعقلي يقلقني، ولا أجد إلى الصواب سبيلاً... بالله عليك أخبرني، فأنت صديقي ورفيق عمري".

أطرق صديقه رأسه إلى الأرض في صمت، وكأنه حزين لما وصل إليه صديقه، ولما وصلت إليه نفسه من متاعب من جراء هذا الشك القاتل، وهو على يقين من أن والدة صديقه هذه إنسانة ودودة، وأخلاقها متينة، ولم يعرف كيف يجاوبه، فصديقه نفسه يتهم والدته! ليس هناك أبشع من ذلك، فكيف إذن وهو الصديق يشفع لوالدة صديقه عنده؟! غريبة هي هذه

النفس التي تتوهم أشياءً ليس لها وجود، أو ربما لها وجود ولكن في بواطنها هي فقط...!

قاطعه الرجل فجأة، وكأنه يحاول أن يبرر موقفه، ويدافع عن وجهة نظره، ويقنع نفسه بأن نفسه مصيبة فيما تشك، وقال: "ماذا تحب في هذا الفراش؟! ألا يكفيها أن تعرف ملف ماضيه حتى تتركه؟!". أطرق رأسه إلى الأرض، ووضع وجهه بين كفيه، وكأنه نادم على ما فعل، هائماً في تفكيره، وأفكاره تتصارع من أجل بقاء فكرة واحدة ثابتة ويقينية...

قال له صديقه، وكأنه وجد الحل في محاولة لأن يريحه: "لدي الحل... راقبها حينما تخرج وتعود، وستتأكد وتعرف الحقيقة". قالها صديقه وهو على يقين من النتيجة، فهو يثق ثقة كاملة بأن مخاوف الرجل سوف تتبدد بمجرد أن يراقبها، لأنه لن يجد شيئاً. لم يجد الرجل بُداً من ذلك، وأسفرت مراقبته

لوالدته عن نتيجة مذهلة، فقد رآها ذات ليلة تدخل عمارة هذا الرجل، وحينما صعد وراءها، صُعق حينما رآها تدخل منزله... الآن لم يعد لديه أدنى شك فيما كان يدعي، وقد تحول شكه هذا إلى يقين، فأسرع إلى صديقه ليخبره... فصُعق صديقه ولم يصدق ما قيل، ونصحه بألا يتسرع في إصدار الأحكام، وقال له: "أنا على ثقة أن عقلك يهيئ لك ذلك، ثم كيف لك أن تتأكد أن الذي تكلمه في الهاتف هو ذاك الرجل؟! يجب أن تنسى الموضوع بأسره وألا تجعله يؤثر على حياتك". فقال له: "أؤكد لك أنها أمي... صحيح أنني لم أتبين وجهها، ولكنني أعرف جيداً ما ترتديه... فلتذهب معي، وسترى بنفسك!".

وبالفعل، ذهب معه صديقه، ليس من شيء إلا ليؤكد له اضطراب نفسه واختلال عقله، فكيف يُعقل أن يشك في أمه؟! وحينما أشرفا على المنزل، توقفا، وبعد دقائق قليلة

جاءت السيدة، ثم توقفت عند مدخل العمارة، واعتدلت لتتحدث مع البواب، فرأى صاحبنا وجهها، فأسرع إلى صديقه مؤكداً: "انظر... ألم أقل لك؟! إنها هي!". فنظر صديقه، ولكنه لم يرَ شيئاً، وأكد له أنه ليس هناك أية امرأة تشبه والدته! فقال له الرجل: "بل إنها هي... انظر جيداً!". ولكن كان لصاحبه نفس الرؤية ونفس التأكيد، وقال له: "لا أرى أمامي إلا زوجة البواب!".

فذهل صاحبنا وبرزت عيناه من المفاجأة، وكأنه قد أفاق من غفلته وانتبه أن كل ما كان يراه لا يعدو إلا أن تكون صورة من وحيه، ولم تكن هذه السيدة والدته، ولم تكن أيضاً السيدة التي رآها من قبل والدته، وإنما نفسه هيأت له كل ذلك.. يا لها من مفاجأة مفجعة له.. فأدرك صديقه ذلك

ونظر إلى صاحبه فوجده يقف مشدوهًا، تائهًا وقد ألجمت الصدمة لسانه، فقال له: "لا عليك، ألم أقل لك ألا تفسح مجالًا للشك في حياتك وأن..."، فقاطعه الرجل وكأنه قد أفاق من صدمته للتو، وأردف محاولًا أن ينتهز آخر فرصة ليثبت لنفسه أنه على يقين، وأن الآخرين هم المخطئون وقال: "إذن ما سبب تلك المكالمات الهاتفية؟ لمن كانت؟" ثم ترك صاحبه وأسرع إلى منزله ليؤكد لنفسه صدق حدسه. ودخل المنزل في خلسة حتى لا يشعر به أحد، وسمع من بعيد قهقهات والدته، فكاد الشك يقتله من جديد: "لابد أنها تتحدث معه.. يا ليت أبي يأتي الآن ليرى ماذا يحدث! وياليت صديقي يرى ذلك ليتأكد أنني لم يكن يُخيل لي.." ما أن انتهت السيدة من المكالمة حتى أدرك أنها تودع والده، وأن هذه المكالمات جميعها كانت إلى والده ولم تكن إلا بهدف الاطمئنان عليه في الخارج.. فخرج نادمًا من بيته وذهب إلى صديقه وحكى له ما حدث وقال:

"إنني نادم على شكوكي هذه.. كان يجب ألا أطلق لأفكاري السوداء العنان".

وبعد أسبوع، فوجئ الصديق - أثناء زيارة صديقه - بصاحبه مختبئًا أسفل السلم.. وحينما سأله لماذا أنت مختبئ هكذا، سأله ألا يتفوه ببنت شفة، وقال له في صوت متهدج يملؤه الشك والخوف والريبة: "إنني أراقب أبي.. فلقد سمعته يتحدث في التليفون منذ قليل، ويؤكد لسيدة أنه قادم في الحال... لابد وأنها جارتنا تلك، فهي سيئة السمعة كما أعلم وكما يعلم الجميع!!!"

قطـــار الذكريـــات

حاولت أن تتكلم ولكن الكلمات قد ضاعت وسط زوبعة من البكاء قد عصفت بها... ثم استجمعت قواها وقالت لي في صوت متهدج وأنفاس متحشرجة: "إنني بالفعل أحتاج لصديق أسر له بخبيئة نفسي وألقي إليه ببعض ما يعتمل في صدري، وأرى أنك الشخص الذي أردته بعينه لاسيما أنني لن ألقاك بعد اليوم، وبذلك لن أتذكر ما قلته معك، ولن أجد ما يجعلني أندم على ما أفصحت به..! لم أجب ولم أعلق؛ فقد كان الفضول يتملكني ولم يكن لي من أمنية في ذلك الوقت سوى أن أعرف سر حزن هذه الفتاة الرقيقة!!

أرسلت مفاصل الباب صريرًا وأنا أفتحه.... فتحته واستغرق بي المقام... جلست... أضجعت في المقعد اللين الوثير ووضعت ساقًا على ساق... وبعدما اعتدلت في جلستي وأرحت نفسي... لمحتها... لمحت تلك الفتاة الجميلة تجلس أمامي... وقد التحفت بملابس سوداء لا تظهر شيئًا إلا وجهها... وقد كان ذلك كافيًا بالنسبة لي... شعرت وأنا أنظر إلى وجهها الأبيض الملائكي وإلى عينيها الواسعتين الجميلتين وإلى حاجبيها المرفوعين وإلى شفتيها المضمومتين اللذين يقطر منهما السحر والشهد أنني أمام ملاك طاهر جميل لا يمكن أن يتواجد بيننا أبدًا في هذه الدنيا... وكلما زدت إلى وجهها النظر كلما وجدت به حسنًا جديدًا. ظللت محدقًا النظر إلى وجهها الصافي وإلى عينيها الجميلتين برهة من الوقت... وقد كانت تنظر من نافذة القطار... كنا نجلس في عربة مكيفة الهواء في القطار السريع المسافر من الإسكندرية إلى القاهرة، يحيط بنا جو من

الألفة والمودة والحب وكأنني أعرفها منذ زمن سحيق... سرحت في وجهها حتى لمحت في عينيها طبقة لامعة من دمع مترقرق... تُرى أية قصة يمكن أن نجدها في حياة هذه المرأة الآمنة الطاهرة الرقيقة... وطال الصمت، حتى قررت أن أتحدث إليها... قاطعت خلوتها قائلًا:

"الوقت يمر طويلاً من الإسكندرية إلى القاهرة... وأرى أنني بحاجة إلى أحد ما أحدثه ويحدثني، ولقد لمحت في قسمات وجهك حزنًا دفينًا... أيمكن أن تعتبريني صديقًا وتفضين لي بما في داخلك..." ثم سادت بيننا فترة صمت طويلة خُيل إليّ فيها أنني أشعر بدقات عقارب الساعة وأسمعها... ثم طال الصمت وطالت نظرتي إليها... ورأيتها قد أطلقت من صدرها زفرة حارة... ثم التفتت إلى... حاولت أن تتكلم ولكن الكلمات قد ضاعت وسط زوبعة من البكاء قد عصفت بها... ثم استجمعت قواها وقالت لي في صوت متهدج وأنفاس

متحشرجة: "إنني بالفعل أحتاج لصديق أسر له بخبيئة نفسي وألقي إليه ببعض ما يعتمل في صدري، وأرى أنك الشخص الذي أردته بعينه لاسيما أنني لن ألقاك بعد اليوم، وبذلك لن أتذكر ما قلته معك، ولن أجد ما يجعلني أندم على ما أفصحت به..! لم أجب ولم أعلق؛ فقد كان الفضول يتملكني ولم يكن لي من أمنية في ذلك الوقت سوى أن أعرف سر حزن هذه الفتاة الرقيقة..."

بدأت تحكي قصتها قائلة:

"قصتي كأية قصة فتاة أحبت رجلًا كريمًا نبيلاً رائعًا ثم أبى الدهر أن يمتعهما بهذا الحب، ولكن قصتي ليست كأية قصة لأنني لم أكن كأي من الفتيات اللاتي نعرفهن جميعهن... إذ كان لي في شريك حياتي الذي أتمناه خصالٍ لا يمكن أن تجدها في أي رجل!! إنني في حياتي كلها ما كنت

عابثة ولا طائشة... كنت دائمًا فتاة عقلانية جدًا ورومانسية جدًا في الوقت نفسه... كنت أتلهف إلى ذلك اليوم الذي سألتقي فيه بشريك حياتي ونصفي الآخر حتى أغدق عليه بكل الحب والحنان والرومانسية الذين احتفظ بهم في قلبي... ولكنني كنت على يقين شديد بأن ليس هناك على وجه الأرض رجل يستحق كل هذا..."

ـ ببساطة لأنني كنت متأكدة أنني لن أجد الرجل النقي الطاهر البريء الذي أريده... كان مبدأي في الحياة أنني يجب أن أحظى برجلاً ليس له ماضي طالما أنني ليس لي ماضي... أو لنقل أنني كنت أريد رجلاً لا يعرف الكثير تمامًا مثلي... وكنت أتساءل: لما لا أجد مثل هذا الرجل النقي في هذه الحياة؟ لماذا لا يمكن أن أجد رجلاً لم يعرف فتاة واحدة قبلي؟ وكنت كثيرًا ما أتساءل: أيكون ما أطلبه من درب المستحيل؟ أليس ما أطلبه حقًا مشروعًا من حقوقي؟ أليس

من حق الفتاة البتول الهادئة النقية أن تحصل على رجل نبيل نقي وطاهر؟ وظللت على هذا المبدأ حتى رأيته! رأيته في إحدى الندوات الثقافية... لفت انتباهي حينما رأيته منفعلاً ومنشغلاً في إحدى المناقشات الثقافية محاولاً إثبات صحة رأيه... أنصت إليه باهتمام بالغ... وظللت طوال الجلسة أحدق فيه بطريقة غريبة... وأنا التي لم أنظر إلى رجل من قبل على الإطلاق؟ ليس فقط بدافع الأدب والاحترام ولكن أيضًا لأنني لم أجد في رجال الأرض جميعًا من يستحق أن أنظر إليه نظرة إعجاب به وبعقله... فكيف إذن أنظر إلى هذا الرجل بهذه الطريقة؟ انتهت الندوة وسار كل منا في طريقه... وأدهشني أنه لم يحاول قط التعرف علي كما حاول أقرانه... أدهشني إعجابه بنفسه وثقته بعقله، ورأيتني بعدها أتابع آراءه وأفكاره ومقالاته على شبكة الإنترنت...!! ما هذا الذي يحدث لي؟ أأكون قد أعجبت به إلى هذه الدرجة؟ ورأيتني أسأل عنه! وعن حياته وعائلته

وأفكاره ومعتقداته... حتى فوجئت أنه لم يعد يمر يومًا إلا وكان لابد لي أن أعرف شيئاً جديدًا عنه... حتى كانت ذات ندوة ورأيته يحاول أن يعلق على إحدى موضوعاتي... واشتد النقاش بيننا وزادت المجادلة... حتى وجدته فجأة قد أنهى نقاشنا هذا مؤكدًا لي أنه اقتنع برأيي وأنني كنت على صواب... قالها ببسمة هادئة نقية وبريئة... ولكن كيف ذلك؟ كيف يعدل عن رأيه بهذه السهولة؟ والغريب أن رأيه كان فيه الكثير من الصحة... أعجبني كثيرًا طريقته في إنهاء المناقشة... أحسست بجمال روحه وخفة دمه قد أضفت على روحي إعجابًا لا يقارن!

وبعد هذا الموقف ظللت أفكر فيه كثيرًا... وظللنا نختلق الندوات حتى نرى بعضنا البعض... ومضت سنتان على ذلك ونحن لا نتحدث في شيء سوى المناقشات والمجادلات والندوات... ولم يجرؤ أي منا على الاتصال بالآخر بالرغم من

أن كلانا يملك تليفون الآخر من قائمة الندوات... حتى كانت ذات ليلة، أصبح الأمر لا يحتمل إدعاءً ولا كتمانًا... اعترفت لنفسي ساعتها أنني أحبه... لن أحاول أن أصف مشاعري في تلك اللحظة، لأنك إما أن تكون قد أحببت، فشعرت بكل لحظة من هذه اللحظات، وبذلك لن تكون بحاجة إلى وصفي، وإما أن يكون قد حرمك الله من الحب، وبذلك مهما وصفت لك، لن تدرك ولن تشعر بقيمة هذه اللحظة. نعم لقد وقع الأمر ولم يعد لي فيه حيلة، لعب القدر لعبته وقلب كل الموازين التي أعددتها لنفسي... أحببت رجلاً له تجارب عديدة مع النساء، رجلاً يعرف الكثير والكثير، رجلاً صادف كثيرات ورافق كثيرات... رجلاً كل مواصفاته تتنافى مع ما كنت أريده... والمؤلم أيضًا أنني أحببته قبل أن أتزوجه وهذا ما كان يؤنب ضميري ويوجع قلبي... ولكنني أحببته... والغريب أنه في تلك الليلة... سمعت صوت هاتفي يرن...

وحينما أجبت وجدته هو... نعم هو بنفسه... لن تتخيل فرحتي وسعادتي... ولما لا أكون أكثر صراحة فأقول أنني تخيلته واقفًا أمامي يحتضنني ويقول لي: أحبك! ولدهشتي وجدته يقولها لي بالفعل على الهاتف... مؤكدًا لي أنه لا يحتمل أن يكتم مشاعره أكثر من ذلك! وظللنا نضحك من كل شيء ومن لا شيء! إنني كنت أضحك على مبادئي وأفكاري... أما هو فلم أعرف إلى الآن سر ضحكه!

جربت الحب وذقت حلاوته لأول مرة في حياتي... أتساءل كيف استطعنا العيش قبل أن نلتقي؟!! قررنا أن نلتقي ولكنه كان لقاءً عابرًا... تلاقينا في العباسية... قال لي ذات يوم:

"أعرف فيلا جميلة في الشارع الذي يوجد فيه مستشفى الدمرداش... إنها ڤيلا مهجورة ولكنها مليئة بالجمال والسحر... سأنتظرك هناك"

دخلت إلى تلك الفيلا وجلست على إحدى الكراسي الخشبية وانتظرته... كانت الأشجار وارفة... خضراء، جميلة ومتمايلة على الكرسي الخشبي وكأنها تحيط بي لتحفظني من كل سوء... وكنت أسمع زقزقة الطيور وهمس الرياح، وكأنما كانت الأشجار تعزف لي لحنا جميلاً... رأيته وتلاقينا للمرة الأولى... أحاطني بذراعيه ولم أقاوم، وأنى لي المقاومة وأنا في حضن حبيبي الذي طالما انتظرته... المقاومة كانت عبثًا!!! همس لي في أذني بكلمة أحبك... أحسست بأنني بين أحضان أرق وأنبل حبيب في الدنيا... وددت لو تمتد اللحظة أمد الدهر ولكن اللحظات الجميلة هي التي تنتهي سريعًا.

أصبحنا نتلاقى كثيرًا بعدها وزاد الحب في قلبينا، وهل أكون واهمة إذا ما قلت أنني لم أعد أرى رجلاً سواه أمامي... حتى بت أؤمن أنني أنساق إليه بإرادة تفوق إرادتي... هكذا اقتنصت فرصة العمر بلا أدنى تفكير، ولو كنت فكرت لترددت، ولأحجمت ولضاعت الفرصة... كان دائمًا ما يقول لي أن حبي له قد طهره وأمده بالشجاعة والإيمان والقوة... أصبحنا نفسًا واحدة وروحًا واحدة برغم الفوارق الكثيرة بيننا... حتى كنت أستكثر على نفسي هذه المتعة الخالدة... وإني لأتصور حالنا وقد ضمنا بيتًا واحدًا، نستيقظ معًا وننام معًا... نبني أركانه بحبنا وبأرواحنا! وأدركنا أننا لن نستطع أن نفترق أبدًا... فحددت له موعدًا مع والدي ووالدتي، وصممت أن انتظره في حديقتنا وأن أصطحبه إلى منزلنا برغم رفض والدي ووالدتي؛ إلا أنني أصررت على ذلك، فقد كنت أود أن أكون معه في أول لحظة تجمعنا معًا...

انتظرته في حديقتنا في الفيلا على نفس المقعد الخشبي. أظلمت السماء وأنا انتظره. لمحتُه يقف على باب الفيلا شاحبًا مرهقًا. هرولت إليه، احتضنته واحتضنني، وقال لي إنه كان في غاية التعب والإرهاق. ومع ذلك لم يؤجل الموعد، فهذه هي اللحظة التي كان يتمناها منذ زمن. قائلاً:

ـ"إن الله لابد أنه يحبني لأنه أعطاني إنسانة رقيقة مثلك، وحبًا طاهرًا مثل حبنا. أود أن أقول لك إنني كنت قبلك إنسانًا فاسدًا، محيطًا بأجواء ملوثة. حتى حينما رأيتك، حاولت أن أنصب حولك الشراك لأوقعك، ولكنني وجدتك إنسانة طاهرة ونقية، فلم أستطع إلا أن أحبك. نفسك قد أمدتني بالقوة لمواجهة عيوبي والتخلص منها. أما وقد جاءت اللحظة التي ستقربنا من بعضنا وتجمعنا إلى الأبد في بيت واحد، فهذا شيء لا يصدقه عقلي." ثم وجدت ذراعيه قد تساقطا من على كتفي، ووجدته يتهاوى ليسقط على الكرسي الخشبي الذي

اعتدنا على أن نجلس عليه سويا. فزعت، جلست على الكرسي بجانبه ونهرته قائلة:

ـ"لم يكن عليك أن تأتي اليوم وأنت في هذه الحالة من الإعياء الشديد. كان يمكن أن نؤجل الموعد. ولكن أن تأتي وأنت في هذه الحالة، فهذا ما لا أستطيع تحمله. أنت تعلم كم أحبك وكم أخاف عليك." ولكنه لم يجبني. ظللت أكلمه عله يجيبني ولكنه رحل. نعم، رحل... رحل إلى عالم لن أستطيع أن أكلمه فيه. أتى إليّ ليراني ثم يرحل، يرحل إلى الأبد... وهكذا استكثر على القدر هذه المتعة الشرعية التي كنت أتمناها. استكثر على الحب الوحيد الذي أحببته في حياتي. وهكذا أنهى القدر لوحتي فجأة، فجرى عليها بفرشاته في عبث الأطفال، فبعد أن أجبرني على رسم اللوحة التي لم أكن أريدها، وبعد أن أرغمني على رسمها بدقة، وبعد أن جعلني

أحبها وأعيش معها وبها، سكب المحبرة عليها، فاختلطت الألوان وأصبحت صورة باهتة لا يوجد بها إلا بقايا ذكريات!

مرت ثلاث سنوات على رحيل حبيبي، وما زلت أسافر كل سنة من الإسكندرية إلى القاهرة لأذهب إلى الفيلا في العباسية وأجلس على المقعد الخشبي وأتذكر حبيبي وأكلمه. كل شيء كما هو في الفيلا، حتى المسمار الذي ما زال ناتئًا في ظهر الكرسي الخشبي، وكأن بالزمن ما مر بي... إلا شيئًا واحدًا، الأشجار الخضراء الوارفة. لم تعد كما هي، ففي كل مرة أذهب فيها إلى هناك، أرى أوراقًا مترنحة جافة تهبط على الأرض في يأس واستسلام. أما حبيبي فقد نقلته من مرآى البصر إلى مرآى الذهن والقلب. ما زلت أشعر بروحه إلى الآن في قلبي!

سكتت الفتاة الرقيقة، ورأيتها تجفف دمعها وأنا جالس أراقبها مشدوهًا، غير مصدق لما روته، وقد علا وجهي وجوم

وتجهم. حاولت أن أتكلم، حاولت أن أمنحها بعض العزاء، ولكنني وجدت أن لساني يعجز عن الكلام. ليس لدي ما أقوله لها! رأيتها تنظر إليَّ بتفهم، ثم اقتربت مني وربتت على كتفي قائلة: "لا فائدة من كلامك الآن. أشكرك أنك سمعتني. إن القوة في القلوب وفي العزائم."

أفقت من غفلتي لأجد الكمسري يربت على كتفي ليوقظني من سباتي. فقد مضت ثلاث ساعات وأنا نائم. وها قد وصلنا إلى القاهرة أخيرًا. نظرت إلى الفتاة المتشحة بالسواد، ورأيتها تمسح دموعها وتلملم حاجياتها. مستحيل! أكان كل ذلك حلمًا؟ تُرى ما هي قصتها الحقيقية؟ أيمكن أن يكون ما حلمته هو الحقيقة؟ أود أن أسألها، ولكن لا وقت لدينا. القطار قد وصل إلى المحطة. ورأيتها تنهض وتستعد للنزول، ثم اعتدلت ونظرت إليَّ تسألني:

ـ"من فضلك، هل لي بسؤال؟ أي الطرق تسلك للوصول إلى الفيلا القريبة من مستشفى الدمرداش في العباسية، لأنني في كل مرة آتي إلى هنا أضل طريقي؟" سألتها: "أهي تلك الفيلا المهجورة المعروفة بأشجارها الوارفة وكرسيها الخشبي الذي يبرز المسمار في ظهره؟" قالت في ذهول وترقب: "نعم! أتعرفها؟" قلت: "أعرفها حق المعرفة!"

نفس في عالم آخر

سارة الجزار

"إن النفوس بيوت أصحابها، فإذا طرقتموها، فإطرقوها برفق"!

كثيرٌ منا يتمنى لو كان شخصاً آخر مخالفاً لما هو عليه، أو يتمنى لو كانت له حياة أخرى غير تلك الحياة التي يعيشها، أو أقل ما يجب أن يأمل أن يعيش في زمن آخر غير زمنه الذي يحيا فيه وبه... ولكن لما هذا الاعتراض على حياتنا؟! ربما لأن كل شيء في هذه الحياة متعته بائدة، ولذته مصيرها الفناء... وأسوأ ما في الحياة أن ترى وراء مظهرها الخلاب هذا باطناً أجوف ونفساً واهية... وعلى هذا فما حاجتنا إلى إنفاق أعمارنا في مكان داجي الظلام، أو في زمان نعرف له نهاية حزينة؟ إننا نتمسك بحياة دون غيرها؛ لأن لنا في هذه الحياة من نحبهم ويحبوننا... ولكن إذا كنت تحيا حياة بلا حب، حياة تبكيها كل حمامة نائحة، حياة فيها مآسي تثير المدامع... أو إذا كنت تحيا حياة كئيبة يلفها الحزن والملل والخوف، ويسكن أرجائها القلق والدمع، فلتدعو الله أن يدفع بك إلى ذاكرة الآخرين بالحب والحنان... حينئذ يصفق قلبك ويهفو ويغني ويرقص طرباً إذا

ذكره أحدهم... أو لتحاول أن تحيا حياة أخرى كما فعلت صديقتي، ولكن كن حذراً؛ فحينما تطمح النفس إلى المزيد، وحينما يرضى الجسد أن يعيش في دنيا غير دنياه، فهو بلا شك طالبٌ أكثر مما يتخيله عقلك. إنه حينئذ يطلب المستحيل في دنيا يكاد الممكن يجد طريقه فيها... هذا ما وصلت إليه بعدما سمعت قصة صديقتي.

في حلكة ليل دامس شديد السواد... تكاثفت فيه السحب فحجبت كل الأنوار، وساد السكون المكان، فما عاد يسمع إلا حفيف الأشجار وصراخ الرياح، جلست في حجرتي على نور خافت وقد فتحت أبواب نافذتي على مصرعيها لأستنشق الهواء النقي... جلست لأقرأ في كتابي بنهم وشوق علني أستطيع إنهاءه في تلك الليلة، وإذا بأسمع بدقات متصارعة على الباب... فزعت، لم أتعود قط أن أتلقى زيارات في هذا الوقت المتأخر من الليل... أسرعت إلى الباب وفتحته لأجد صديقتي أمامي

- شاحبة ضامرة، كأنها كومة من العظام لفت بطبقة رقيقة من الجلد وقد بدا السواد يلتف حول عينيها.

أجلستها على الكرسي المقابل للباب... أردت أن أسألها عما بها، وعن سبب مجيئها، ولكنني وجدت منها لوعة وألماً وتعباً، ففضلت ألا أخاطبها إلا حينما تستريح... جلبت لها كوباً من العصير وطلبت منها أن ترتاح حتى الصباح، قائلة في نفسي إنه لربما استطاع منظر البحر في الصباح، وجمال الطبيعة وسحر الهواء أن يعيد لقلبها السكينة والهدوء والراحة... فتفضي حينئذ بما يدور في خلدها...

في الصباح، بدت لي وكأنها هدأت واستعادت ضياء وجهها... فجلسنا على شاطئ البحر... ولكن لم تستطع زرقة البحر أو صحوة السماء أن تزيل تلك اللوعة الكامنة في قلبها... ولكنها اعتدلت ونظرت لي وقالت: "لا أعرف ماذا يحدث

لي؟ هل فقدت عقلي، وأصبحت أهذي بأشياء لا يمكن أن تحدث أبداً؟ أم أنني أحيا عالمين مختلفين؟... لا أعرف... لا أعرف!!!"

أصابني كلامها بالرجفة، فما أعتدت أبداً أن أرى صديقتي بمثل هذه الحالة الغريبة، وهذه المشاعر المتناقضة... قلت لها:

ـ"هوني على نفسك، واستريحي واحكي لي ما حدث بتأنٍ، علني أستطيع تفهم الأمر". قالت:

ـ"أعلم أنه من العبث أن أروي قصتي لأي شخص، فما من أحد عاقل سيصدق حديثي هذا... إنها أشبه بقصص الأساطير... ولكن النفس الإنسانية مليئة بالأسرار والغموض!" قلت: "لا داعي لكل هذا القلق، فما تعودت منكِ وأنتِ الفنانة الهادئة الرقيقة المتزنة التي تعبر عن كل المشاعر الإنسانية في لوحاتها أن تكون بمثل هذا الضعف". قالت:

سأحكي لكِ، وأرجو أن تصدقيني. بدأت كلامها فقالت: كنت أذهب يومياً إلى الحديقة العامة التي تعودت الذهاب إليها منذ فترة كبيرة لأضع لوحاتي هناك وأبدأ في الرسم. وأنت كما تعلمين أنني حالمة رومانسية في لوحاتي وفي حياتي أيضاً. وبالرغم من كل ذلك، لم أصادف قط في حياتي تلك من استطاع أن يغير مجرى تلك الحياة، فيحيلها ويشقلبها، فأرى فيها الحياة الجديدة الرومانسية التي أتمناها. لذلك ما تمنيت شيئاً إلا وحصلت عليه في عالم الأماني، وما أزعجني أمر إلا ونسيته في دنيا الأحلام. هذه هي حياتي ولذلك كنت أجد في الرسم عزائي الوحيد، وسلوى قلبي، فما أحببت أحداً وما انتظرت أن يحبني أحد، حتى كان اليوم الذي ذهبت فيه إلى الحديقة كعادتي وبدأت أرسم. أثرني الرسم، وسرحت وشرد عقلي مع اللوحة وجمالها... ثم وجدتني في مكان آخر غير الحديقة... بل وجدتني في دنيا أخرى غير دنياي... رأيت نفسي وقد جلست

على إحدى الكراسي وأمامي لوحة بيضاء في مرسم في حي الزمالك... وكأنني تعودت أن آتي هذا المكان وأخترت كرسيي وجلست عليه... كأنني معتادة على ذلك... جلست بكل إعتيادية وانهمكت في الرسم، وحينما شعرت بالتعب رفعت عيني ويدي من اللوحة لتقع عيني على رجلٍ جالسٍ في الجوار... رأيته وتلاقت أعيننا... ظللنا ننظر لبعضنا وقتاً طويلاً... لا أعرف قيمة للوقت ولا حساباً... فلم أكن أكترث بشيء، ولم أكن أريد أن يشغلني شيئاً غير التمتع بالنظر إلى عينيه... لم يكن وسيماً ولكن جمال روحه قد أضفى على وجهي وقلبي جمالاً لا يقارن بشيء آخر سواه. لا أعرف ما حدث لي... عقلي يحدثني بأن أتوقف عن الحملقة هكذا، ولكن قلبي متعلق بنظراته لي ويشجعني على الاستمرار عليها... ماذا حدث لي... لم أكن بمثل تلك الجرأة قط... لم أنظر إلى رجل في حياتي هكذا... لا أعرف ماذا يحدث لقلبي وقد

بدأت نبضاته تتسارع، وأحسست أنه يرقص طرباً وفرحاً؛ وكأن في داخلي فرقة تغني وتشدو وترقص! ابتسم، وكأن ابتسامته قد أرسلت لي مع الريح نسيماً قد خلع على الحجرة رونقاً وملأها روعة وضياءً. إنني في عالم آخر... لا بد وأنني أحيا عالماً رومانسياً خلاباً... عالماً غير عالمي... أيكون هذا هو الحب؟!

ذهبت بعدها إلى منزلي في منطقة وسط البلد... قاطعتها قائلة: "ولكنك لا تقطنين في وسط البلد؟!" قالت: "أعلم، ولكنني خيل إليّ أنني أقطن هناك، أو لنقل أنني في حياتي الأخرى كنت أقطن في تلك المنطقة!" فغرت فاهي عجباً، واشفقت عليها... أحست هي بما يدور في رأسي، فقاطعت أفكاري قائلة: "انتظري حتى أكمل...

وبدأت تكمل لتقول إنها ذهبت إلى منزلها في منطقة وسط البلد، وظلت على هذا الحال مدة أسبوعين، قائلة: "في الصباح كنت أذهب للمرسم، وفي المساء أعود إلى بيتي في وسط البلد، حتى كنت ذات ليلة في بيتي، جالسة أمام نافذتي، أتأمل جمال الأشجار... فرأيت المنظر قد تحول أمامي، ووجدت نفسي قد عدت إلى الحديقة وأمامي لوحاتي... عدت إلى حياتي الأولى من جديد... تعجبت لما حدث، وقلت في نفسي إن ما حدث لا بد وأن يكون حلماً، ولا يعدو أكثر من ذلك. ولكن مع الأيام أدركت أن ما يحدث حقيقة واقعة وليست متخيلة... إنها حياة أخرى!! إنني أعيش حياتين مختلفتين... وما يجعل ذلك يقيناً أنني حينما أعود للحياة الأخرى، أجد نفسي عائدة مستكملة للأحداث التي توقفت عندها في آخر مرة... لا يمكن أن يكون ذلك وهماً!"

استوقفتها مرة ثانية وقلت لها: "إنني لا أستطيع أن أصدق ما تقولين؟ وحتى وإن صدقت ذلك، فماذا يضيرك أن تحيي هذين العالمين؟"

قالت: "إنني بالفعل كنت قد استسلمت لحياتي تلك؛ لأنني أحببت الفتى الرسام الذي التقيتُه في حياتي الثانية وأحبني هو الآخر... وعشنا معاً قصة حب لو كتبت بالأقلام لفرغت الأحبار ولنفدت الأوراق... وحدثتني نفسي أنه ما دمت لا أجد الحب في حياتي الأولى، فلماذا لا أحيا الحياة الثانية التي التقيتُ فيها برفيق عمري وسلو نفسي. ولم أعتقد قط أن نفسي ستطمح إلى ما هو أكثر بذلك، أو لنقل إنني لم أمنيها بأكثر من ذلك، فما كنت أتمنى أكثر من أن أجد من يحبني وأحبه... ظللت على هذا المنوال حتى بت أنتظر اليوم الذي أسافر فيه إلى عالمي الآخر، بل وبتُ أكره اللحظة التي أعود فيها لعالمي الأول، فليس فيه ما يجعلني أتمسك به... فما أجمل العالم لو

بقيت نائمة إلى الأبد. حتى جاء اليوم الذي علمت فيه أن حبيبي – الذي اعتبرته نفسي، والذي اعتقدت أن حبه لي لا يساوي كنوز العالم – يحب فتاة أخرى غيري. لم أصدق ما سمعت، وحينما صارحته، لم يبد عليه الانزعاج، بل أكد لي أن كل ما سمعته صحيح، وأن هذه هي حياته؛ فهو كالنحلة، يجب دائماً التنقل من زهرة إلى أخرى... قلت له إن ما بيننا ليس بالشيء الهين لتقضي عليه بهذه السهولة... صحيح أنه لم يلفظ بكلمة "أحبك"... ولكن الحب هو الكلمة الوحيدة التي لا تُقال... وحينما نحب حباً عميقاً لا نستطيع أن نلفظها... ألست أنت من كنت تردد كلمات نزار وتقول: "إن كلماتنا في الحب تقتل حبنا، إن الحروف تموت حينما تُقال"... كلنا نحب ولكن لا نقول، ونبكي ولكن لا أحد يرى دموعنا. إن الحب لا يطلب، إذ أن الحب هبة، ومشاعر جميلة تخترق

القلبين وتكفي حينئذ النظرات لتعبر عن كل شيء... أتريد أن تقتل كل هذه الأشياء؟"

فضحك ملء شدقيه وقال: "كل شيء يمكن أن تذروه الرياح إذا أردنا نحن ذلك."

عدت بعدها إلى منزلي... لم يعد هناك فائدة من كلامي... رجعت إلى حياتي الأولى في تلك اللحظة لأرى نفسي في الحديقة... لملمت لوحاتي وعدت إلى منزلي حزينة... كنت أعتقد أنه ذكي الفؤاد، شاعري النفس، صادق الحس... كنت أعبد النسمة التي تمر فتختلط بأنفاسه، أعبد اللوحات التي كان يلمسها بيديه، أعبد الشمس التي تدفئه... أكان كل ذلك كذباً؟

ظللت طوال اليوم أبكي حرقةً وأسفاً... قلبي قد تعلق بالحياة الثانية، فهي تذكره بأيام حلوة يانعة... ترى أبعد ما حكيته لكِ

ما زلتِ لا تصدقين؟ إنني على يقين مما أقول! أرجوك ساعديني، فلن أجد غيرك أقدر على منحي جميل العزاء.

سبحت بعيني إلى السماء المزدانة بالنجوم، فقد دجى الليل ونحن ما زلنا على الشاطئ... أشفقت عليها... أردت أن أدخلها المنزل حتى لا يصيبها الأعياء، فقد كانت الرياح عاصفةً، فضحكت وقالت: "أنا الغريق فما خوفي من البلل... إنني لم أعد آبه للحياة ولا للموت... كلاهما عندي سواء الآن." ترى أيمكن أن يكون ما روته حقيقة؟! نظرت إليها وقلت: "اعلمي يا حبيبتي أن الإنسان كثيراً ما يهرب من حياته التعيسة إلى حياة أخرى يستطيع فيها نفسه أن تتمنى وتطمح وتحقق أمانيها... حتى وإن كنتِ فعلاً تعيشين عالمين، فتأكدي أنك لم تخسري الكثير، فلقد أبديت لي وله من جمال نفسك وعذوبة روحك ما تضاءلت بجواره فتنة وجهك... أنا على يقين أنه هو الخاسر، فإن كنتِ قد خسرت نصف حياتك، فقد خسر هو

حياته كلها؛ لأنه لن يجد في حياته قط روحاً نقية بريئة، وقلباً كريماً صادقاً مثل قلبك."

اصطحبتها إلى منزلها، واطمأن قلبي عليها حينما رأيتها قد هدأت ونامت، وتركتها لتستريح. وفي الصباح ذهبت إليها لأطمئن عليها، فوجدت حشداً قد التف حول منزلها، وعرفت من الحارس أنهم سمعوا في الصباح صيحة عالية ورأوا صديقتي بعدها ملقاة على الأرض بجانب العمارة... إنها انتحرت ولا يعلم أحد سر ذلك... إلا أنا!!!!

تذكرت كلامها حينما قالت: "أنا الغريق فما خوفي من البلل... إنني لم أعد آبه للحياة ولا للموت... كلاهما عندي سواء الآن."... إننا لا نخشى الموت، فكل منا إلى الفناء مصيره، ولكن ما يدمي قلبي أنني لم أصدقها... وعصف بي التفكير؛ ترى هل انتحرت في عالمها الآخر؟... هل قابلته مرة

أخرى وتحدثا وكان لكلامه أثراً حزيناً فانتحرت لذلك السبب؟ يقال: "عظمة النفس الإنسانية في قدرتها على الاعتدال، لا في قدرتها على التجاوز"... طاف بذهني المكدود وأنا واقفة أمام منزلها الكثير من المشاهد التي سردتها لي... ظللت واقفة مشدوهة، غير مصدقة حتى خلا الطريق من المارة، وظللت وحيدة في الشارع لا أسمع شيئاً إلا حفيف الأشجار وخشخشتها، ولربما همسات بعثتها لي روحها مع الرياح تقول لي: "أتصدقين الآن؟" فأجيب: "ولم لا؟ فالنفس في عالم الأماني يمكن أن تطمح إلى أكثر من ذلك!!!"

الصورة المتحركة

سارة الجزار

هل تمنيت من قبل أن ترى شخصًا يصعب عليك الآن رؤيته بعدما كان مرآى عينك وبصرك، ولم تكن تريد أن تبصره؟ هل أدركت يومًا أنك فقدت إنسانًا عزيزًا عليك، قريبًا إلى قلبك، ولم تكن تعلم قدر حبك له إلا حينما فارقته؟ بل دعني أسالك سؤالًا أهم... هل تؤمن بوجود الأرواح والأشباح، أو بمعنى آخر، هل يمكن أن تصدق بوجود اتصال روحي بين الأموات والأحياء؟ إن الله ينعم علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى. وفي أحيانٍ كثيرة يكافئنا الله بنعمة كبيرة، وإن لم تحافظ عليها وتتمسك بها... ستحيا طيلة حياتك نادمًا باكيًا عليها، ولن تستطع أن تعوضها متى حييت... هذا ما أكّدته لي قصة صديقي العجيبة التي سأرويها لك الآن...

إن كنت تريد أن تحيا حياة عابثة، طائشة، حياة يملؤها الغرور والمتعة والمجون واللهو والاستهتار، فلتشارك صديقي هذا حياته! إنني ما رأيته قط مستقرًا على حال، أو هادئًا باله، أو

راضيًا قانعًا بحياته، ولا حتى سمعت منه أنه يريد يومًا الاستقرار كباقي الرجال... فقد كان يرى الزواج - الذي هو أسمى هدف في الحياة - أنه قيد ووثاق لا ينبو عنه إلا الملل والتقيد وجمود الحياة. لم يكن يعلم أن الرجل قد يقيد نفسه بامرأة واحدة منفردة معينة بمحض إرادته واختياره فقط لأنه أحبها بحق وفقط لأنها تحبه بحق... ولست أدعي بقولي هذا افتراءً على صديقي، أو وصفًا له بالشر والبلادة والعنف، ولكنك إذا قارنته بغيره من الرجال المسؤولين المبجلين... أقول لك... دعني لا أقارنه بأقرانه... فأنا آنف أن أقارنه بأحد لأنه برغم كل ما به من عيوب، إلا أنه رجل كريم، نبيل، ذو خلق، وإلا لما صادقته إلى الآن. ولذلك فأنا أحاول إصلاحه قدر ما استطعت.

لقد كان لصديقي هذا ابنة خال، امرأة جميلة لا يمكن مهما حاولت من أن تصل بمخيلتك أن تدرك مدى نقاء سريرتها

وصفاء قلبها ورقة مشاعرها... إنها فتاة لو تزوجها صديقي هذا وعاش معها، لأرتقى بحياته أعلى رُقي، ولسما بنفسه أيما سمو، ولعاش كأهنأ ما يكون إنسانًا. لقد كانت لتلك الفتاة وجهًا يشع منه النور إيمانًا وصلاحًا، وملامح تجذب أي رجل مهما كانت مقاومته... لقد كانت صادقة الحس، شاعرية النفس، مرهفة الشعور. وفوق كل ذلك كانت تحبه حبًا دفينًا، حبًا قويًا طاهرًا. وقد كان كل الرجال يرونها فتاة مشرقة جميلة ويسعون وراءها من أجل أن يرتبطوا بها ولكنها كانت ترفضهم جميعًا... فلم تكن ترى رجلاً غيره أمامها ولم تكن تستطع أن تهب قلبها إلا له هو... أما هو فلم يكن - برغم كل ذلك - يحبها!!! إن كل ما في الكون مشرقًا متلألئًا لها إلا قلبه فقد تكدست حوله الظلمات وكأن السحاب قد حجبت عن قلبه نورها كله وحبها كله... وكان دومًا يقول لي إنه حاول كثيرًا أن يفكر بها ويحبها ولكن دون جدوى... كما أنه لا يستطيع

أن يجبر قلبه على ذلك... وكان يصعب عليّ رؤية تلك الفتاة وقد شغفت به حبًا وجعلت منه أملها في الحياة، فأصبحت تعطي بلا انتظار لرد الجميل، وتحب بلا انتظار لرد الحب... وآراه هو يرتع بين الفتاة والأخرى ولا يعير لها اهتمامًا ولا انتباهًا... فقد كانت طبيعته اللاهية تجعله يعشق حياة العبث منها إلى الاستقرار والهدوء... وكان كلما يفكر فيها يؤكد لي أنه حاول أن يحبها ولكنه لا يعرف لماذا لا يشعر أن تلك الفتاة لا تبعث في نفسه باللهفة ولا في جسده بالحرارة والنشوة التي تبعثها صديقاته اللاهيات العابثات!!

وكنت أسمع أن الكثير من أفراد العائلة قد علموا بحبها له، ولكنها لم تكن تأبه لأي حديث من ذلك النوع، لأنه كان بداخلها اليقين بأنه سيأتي اليوم الذي سيرتبطان فيه برباط الحياة... وتخرج صديقي من كليته وبدأ يعمل ويكد، وبدأ يدرك مسؤولية ما يحدث من حب الفتاة له المستمر المتلاحق،

فأراد أن ينهي ذلك الحديث حتى تكف عن حبه، وتنتبه لحياتها لأنه ببساطة لن يحبها أبدًا. ذهب إلى خاله وصارحه بحقيقة مشاعره تجاه ابنته... وحينما علمت الفتاة بما دار بين أبيها وبين حبيبها، صدمت فيه، وتحطمت أمانيها... ذُرتها وحاولت أن أهدئها، فكنت أكثر من السب فيه ومن ذكر عيوبه لكيلا تكرهه وتنساه ولكنها كانت صامتة دائمًا ومشدوهة... حاولت أن أؤكد لها أن كل الرجال يتمنونها وأنني أول هؤلاء الرجال إن كانت ترضى بي... ولكنها أكدت لي أنها لم تحب ولن تحب أحدًا سواه حتى وإن كان لا يستحق ذلك... وانتهى حديثنا على ذلك.

بعد حديثي معها بأسبوعين علمت من أبيها أنها مذ علمت بمشاعر صديقي وهي في حال يُرثى له... فقد وهنت وزاد السواد حول عينيها فشحب وجهها من شدة الاكتئاب والتفكير ولم تعد تفارق غرفتها... لم أكن أتخيل أنها تحبه كل

هذا الحب. وددت لو يعرف بذلك لعل قلبه يتحول إليها... فهرعت إلى صديقي بعدما علمت بسوء حالتها وحدثته بما سمعت، فقال:

وماذا عساي أن أفعل؟ ألا تدرك أنني لا أحبها؟ كما أنني ليس لي ذنب في ذلك! فما وعدتها بشيء قط ولم أغرر بها في حياتي أبدًا منذ عرفتها لأنها في النهاية ابنة خالي... أما وقد باتت على هذه الحالة فتلك مشكلتها وحدها! وعلى كل حال، ستأخذ وقتها وتنساني قريبًا!! لم أعلق فكلامه قد أوقع صدى في قلبي لا تعليق يفيده...

فزعت حينما علمت بعدها بيومين أنها قد توفيت في كرسيها... فذهبت إلى صديقي وعرفت أنه سمع بالخبر، فوجدته حزينًا عليها، وظل يؤكد لي أنه غير مذنب بشأنها... لم أرد أن

أطيل الحديث أكثر من ذلك فقد انتهى الأمر ولا فائدة من الكلام.

بعد موت الفتاة بأسبوعين، سمعت طرقًا مدويًا على باب منزلي... فتحت في ذهول، فوجدته صديقي في حالة مزرية وقد تضاؤل حجم جسده وبدا السواد يلتف حول عينيه حتى لكأنك ترى مقلتيه بارزة من وجهه... فزعت لمنظره وحاله... فأجلسته وسألته عما به، فسارع إلى سؤالي قائلاً:

ـهل تؤمن بوجود الأشباح والأرواح؟

نظرت إليه نظرة عطف وشفقة وخوف في الوقت نفسه وقلت:

ـأشباااااح؟؟؟!!! ما الذي اعتراك؟ ما هذا الذي تقوله؟

فعاد يقول لي:

ـهل تؤمن بوجود اتصال روحي بين الأموات والأحياء؟

فعدت أقول له في يأس وأسى:

ـهون على نفسك واحكي لي ما رأيته.

قال لي منذ أسبوع - أي بعد وفاة ابنة خاله بأسبوع - ذهب إلى المقابر ليزور قبر ابنة خاله. جلس أمام المكان الذي دُفنت فيه، وظل واقفًا أمام قبرها صامتًا، حزينًا شاعرًا بالذنب تجاهها. وعندما حاول إخراج سجائره من جيبه، وقعت صورة لها كانت قد أهديته إياها منذ وقت قصير، فتذكر تلك الصورة. لقد كانت جالسة على الكرسي الخشبي مسندة يديها وذقنها على حرف الكرسي، ومرتدية فستانًا هادئًا جميلًا وردي اللون... كانت عجيبة وساحرة في هذه الصورة حتى أنه قال لها ساعتها وهو يضحك أن الصورة أجمل من الواقع... كم كان أبله وغشيماً في كلامه معها، وكانت تتحمله رغم كل ذلك

بابتسامتها الهادئة الراضية... وضع الصورة أمامه على القبر وظل يتأملها حتى شعر باختناق في الجو وأدرك أنه على وشك أن يفقد وعيه... فجلس على الأرض بجانب القبر، وظل يتأمل الصورة ويتأسف لها على كل ما فعله معها... حتى فوجئ بأن الفتاة تتحرك داخل إطار الصورة، بل إنها تخرج منه الآن لتقترب إليه قائلة في ابتسامة رقيقة:

-إنني قبلت أسفك حتى قبل أن أموت... حينما علمت بمشاعرك، وددت لو تعرف كم تعذبت بعدك فتأتي لي وتعتذر فأطردك - ردًا لكرامتي - وأقول لك أنني لا أريدك... أو قد ظننت أن الله لم يخلق في العالم غيرك؟ سأتزوج بمن هو أفضل منك... ولكنني أدركت أنني مهما حاولت أن أخفي حبي، فإنني بذلك أزيده ظهورًا ووضوحًا لأن حبي لك أصدق من تلك الترهات...

اقتربت منه أكثر حتى كاد يلتصقان، وأحاطته بذراعيها وجلست على قدميه، وهمست في أذنه: أحبك وسأظل أحبك في حياتي وفي مماتي!!!

حينها أكد صديقي لي أنه شعر في ذلك الوقت بحب شديد لها، وبأنها قد عوضته عن كل الفتيات اللاتي عرفهن، وكأن هذا الحب كان تائهًا، ضالًا عنه، ثم عاد إليه في تلك اللحظات وود ساعتها لو احتضنها وقبلها... ولكنه استفاق ليجد نفسه أمام الصورة الساكنة وكأن شيئًا لم يكن... حاول أن يكلم الصورة ولكن لا أحد يجيب... وظل بعدها على ذلك ستة أيام... في كل يوم يذهب إلى المقابر ويحاول أن يتحدث مع الصورة ولكن لا أحد يجيب، ولكنه يشعر بها كل ليلة تكلمه وتتحدث معه في منامه...

شردت حينما سمعت تلك القصة وقلت له:

_أحدثك الحق يا صديقي... أنا لا أعلم إذا كان هناك وجودًا للأشباح أم لا... ولكنني سعيد أن تلك الفتاة قد أصبح لها وجود في حياتك أخيرًا حتى وإن جاء متأخرًا.

ذهب صديقي إلى منزله وظل قرابة الأسبوع لا يأتي ولا يسأل عني... فذهبت إلى منزله ودلفت إلى الحجرة المؤدية إلى الداخل... فوجدت والديه جالسين في حزن مروع، وحينما سألت عما بهما وعنه... قالوا لي:

_ لقد جُنَّ ابننا... أهمل عمله وحياته، وانتقل ليعيش بين المقابر، وكان آخر ما قاله أنه لا يريد في هذه الحياة سوى الصورة المتحركة!!!!

فهرس

لحظة سنابشات Snapchat..... ٥

تمثال الحب والحرية..... ١٧

قصـــــة زوجـــــة..... ٣٣

لحظة غضب..... ٤٥

أمنية واحدة تكفي...!..... ٦١

يا نفسي... حان موعد الشك!!..... ٧٧

قطـار الذكريـات..... ٨٩

نفس في عالم آخر.....١٠٧

الصورة المتحركة.....١٢٣